

تخطيط العماائر الدينية الإسلامية الباقية بالدلتا خلال العصرين المملوكي والعثماني دراسة تحليلية مقارنة*

د/ مجدي عبد الجواد علوان*

مقدمه:

شيدت بمدن الدلتا وقراها خلال العصرين المملوكي والعثماني عماائر دينية متنوعة الطرز والوظائف، بقيت منها عدة جوامع ومدارس وزوايا^١، ويعد تشييد هذه العماائر

● سقط من العدد الخامس عشر لعام ٢٠١٤م.

● أستاذ مساعد الآثار والعمارة الإسلامية كلية الآداب - جامعة أسيوط.

أُتِبين من خلال الدراسة الميدانية لهذا البحث - اندثار عدد كبير من العماائر المملوكية والعثمانية التي كانت قائمة في العديد من مدن الدلتا وقراها ، ويعزى ذلك إما للتقصير في المحافظة عليها لغياب الوعي الأثري بين الأهالي ، ولخضوع معظمها لإشراف الأهالي وإدارات وزارة الأوقاف حيث تم تحديث عديد منها ، وإما لعدم تسجيلها ضمن الآثار الإسلامية التابعة للدولة إلى وقت قريب ولو قُدر لهذه العماائر البقاء للآن لكانت أدت دوراً بارزاً في تصنيف العماائر الدينية ضمن حلقة تطور التراث المعماري الإسلامي في مصر-مشاركة في ذلك مع عماائر مدينة القاهرة التي مثلت القسط الأوفر في مراحل ذلك التصنيف ، ومن أمثلة العماائر المندثرة من جوامع ومدارس وزوايا ما يلي:

أ- دمياط: المدرسة المتبوية ١٤٧٥هـ/١٨٨٠م، المدرسة المسلمية ، المدرسة الراجحية ، المدرسة القاسمية ، جامع البحر ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م، جامع البديري ١١٠٦هـ/١٦٩٤م ، جامع على النفيسي، زاوية المغاربة.

ب- المنصورة: جامع الموافي ٨٩٩هـ/١٥٨٩م ، جامع النجار ١١٢٠هـ/١٧٠٨م.

ج- سمنود: جامع سيدي سلامة بن نزيها ، جامع المتولى (ق ١٦هـ/١١٠٦م) .

د- المحلة الكبرى: جامع المحلى أو الغمري وترجع أصوله للعصر الفاطمي، جامع ولى الدين الجندي ٧٠٠هـ /١٣٠٠م ، زاوية الطريني ٨٢٧هـ/١٤٢٣م ، جامع الحنفي بن كتيلة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ، جامع الغمري(التوبة) ٨٩٩-٩٠٥هـ/١٤٩٣-١٤٩٩م، جامع أبى العباس الحريثي ٩٤٥-٩٥١هـ/١٥٣٨-١٥٤٤م ، جامع المحجوب ، جامع الرديني ، جامع الأمير بالي، جامع الصياد، جامع المنسوب، جامع المقدم، جامع الإمام، جامع:محمد بن عز و الطبلوي بقرية الهياثم.

هـ- ميت غمر: جامع أبى العباس الغمري ٩٠٥هـ/١٤٩٩م .

و- بلبيس: جامع السادات ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م .

ز- أبار: جامع قطلقتمر العلاني بقرية أبيج ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ، الجامع العمري ق ١٠هـ/١٦م.

ح- الإسكندرية : جامع أبى العباس المرسى ١١٨٠هـ/١٧٦٦م، جامع سيدي جابر، جامع سيدي القباري ، جامع على جنينة (ق ١١هـ/١٧م).

ط- إدفينا: جامع الحلبي ١١٧٠هـ/١٧٥٦م . لمزيد عن هذه العماائر انظر:

تفيدة عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية في العصرين المملوكي والعثماني ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٧٣ ، ٧٤؛ حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، مجلة المجمع العلمي المصري ، مجلد ٣٨ ، ج ٢، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ٢٠ ، ٢١؛ سعد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبع المجلس الأعلى للثئون

في تلك المنطقة من مصر- انعكاساً لما شهدته من نهضة دينية، امتازت بانتشار المذاهب الفقهية ، وكثرة طوائف الصوفية التي كانت تضم جماعات من الناس يشتركون في إقامة الشعائر الدينية ، ويتلقون أنواعاً من التعليم الديني ، فضلاً عن النشاط العلمي والفكري الملحوظ ، فقد أقيمت هذه العمائر بدافع يمثل الاتجاه الديني المتزايد لدى المسلمين في هذه البقعة من أرض مصر، وتركزت تلك الأنشطة في مدن: الإسكندرية، دمياط ، المحلة الكبرى، طنطا، سمندود ، دسوق ، ميت غمر، المنصورة ، رشيد، فوه ، أسيار.

هذا وتزخر المصادر والمراجع التاريخية بإشارات كثيرة تلقى الضوء عما احتوته هذه المدن من عمائر إبان العصرين المملوكي والعثماني وما شهدته من نهضة دينية^٢.

الإسلامية، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢٤٤-٢٤٧، ج ٥، ص ١٦٢؛ على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومندنها وبلادها القديمة والشهيرة ، طبعة بولاق، ١٣٠٥-١٣٠٦هـ، ج١٢، ص ٤٧، ج١٤، ص ٨٢، ج١٥، ص ١٨-٢٥، ج١٦، ص ٧٩؛ مجدي عبد الجواد علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني في دلتا النيل دراسة أثرية ضمن حلقة تطور التراث المعماري الإسلامي في مصر، مطبعة الكلمة ، أسيوط، ٢٠١٣م، ص ٣٧، ٤٤، ٥٨، ٦٩، ٧٣، ٨٨، ١٦٢، ١٧١، ١٧٩، ١٩١؛ محاضر اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية: بكرة رقم ٤١، سنة ١٩٥٤-١٩٦١م، القاهرة، المطابع الأميرية، ١٩٦٣م، ص ٦٠، ٦١؛ محمد عبد القادر موافي: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ١٩٨٥م، ص ٢٠٠ - ٢٠٢؛ محمد عبد الرازق عطا: مدينة دمياط منذ بداية العصر المملوكي حتى نهاية العصر العثماني دراسة أثرية عمرانية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م، ص ٩٤؛

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1912 , Le Caire 1913, p.121,123,pl.XIV,XVI.

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1936-1940 , Le Caire 1944, p.51,p-p.234-239.

أبن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العمر، طبعة بيروت، ١٩٨٦م، ج٦، ص ٢٤٣، ٢٤٤، ج٨، ص ٥١؛ أبو الحسين محمد ابن جبير: رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٥ - ١٨؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، ١٣٥٠م، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧؛ الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، طبعة ليدن، ١٨٩٣م ، ص ١٥٧- ١٦١؛ جمال الدين ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم طرخان ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ج ١٥، ص ٨٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد : رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، تحقيق: عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ، المجلد الأول ، ١٩٩٧م ، ص ١٩٢-٢٠١؛ شمس الدين محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مطبعة دار الجيل، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠، ج٨ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ج٩ ، ص ١٧٧، ج١١ ، ص ٦٤ ، ٦٥ ؛ شهاب الدين ياقوت الحموي: معجم البلدان، طبعة أولى، ج ٥ ، ص ١٣٣ ، ج ٧ ، ص ٣٩٦ ، ج ٨ ، ص ١٧٨ ؛ شهاب الدين أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبعة دار الكتب، ١٩٣٨م ، ج٩، ص ٤٠٦؛ عبد الوهاب الشعراني: لوائح الأنوار في طبقات الأخيار المعروفة باسم الطبقات الكبرى ، ج٢،

وتتميز عمائر الدلتا الدينية ببعض السمات العامة يمكن حصرها في النقاط التالية:

١- تشترك عمائر مدن الدلتا وقراها باختلاف طرزها المعمارية وأغراضها الوظيفية في كونها ليست عمائر سلطانية كغالب عمائر مدينة القاهرة^٣، بل هي عمائر أميرية أقامها أمراء ممن شغلوا وظائف إدارية كبرى^٤، أو وظائف عسكرية^٥، أو كانوا ولاية

طبعة أولى، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٨٨ - ١٠١، ١٢١؛ على مبارك: الخطط التوفيقية، ج٢، ص ٤٧، ج٤، ص ٨٢، ج٥، ص ١٥، ص ١٨-٢٥، ج١٦، ص ٧٩؛ محمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة بولاق، ١٣١٢هـ، ج ٣، ص ١٥٤، ١٥٥؛ محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع لأهل القرن التاسع، ج ٢، دار المعرفة، بيروت، دت، ص ٢٣٣؛ محمد المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية بمصر، ١٨٦٧م، ج ٢، ص ١٦٦؛ توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الآداب، ص ٢٦، ٢٧، ٣٩، ٥٣، ٧٦، ٧٧؛ ميكال ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص ٢٠٩.

أندرياس سلاطين المماليك والولاة العثمانيين - ببناء عمائر دينية مثل تلك التي شادوها في القاهرة، حيث لم تشر المصادر والمراجع التاريخية إلى ذلك النشاط، باستثناء السلطان الأشرف قايتباي الذي بَنَى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م مدرسة بدمياط على غرار المدارس المملوكية كانت تشرف على النيل، عرفت باسم المدرسة المتبولية نسبة للشيخ إبراهيم المتبولي، والتي جُددت عمارتها سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م، لكنها اندثرت حالياً.

جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٥٤؛ حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ٢١؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص ٧٤٤؛ محمد: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا، ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

من بين هؤلاء الأمراء الذين شغلوا وظائف كبيرة في الدواوين السلطانية وقاموا ببناء عمائر دينية ببلادهم التي ينتمون إليها في مدن الوجه البحري إبان العصر المملوكي: الأمير حسن نصر الله الفوى الأصل، الذي شغل منصب "استادار" زمن السلطان الظاهر جقمق سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، وبنى جامعاً كبيراً سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م في مدينة فوه، جُدد علي ما هو عليه الآن في العصر العثماني.

ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٤٩٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٣٠، ١٣١؛ محمد عبد العزيز السيد: عمائر مدينة فوه العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٠٦.

ومنهم أيضاً الأمير أحمد بن علي بن يوسف المحلى المعروف بالطبريني المتوفي سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م، وكان شاهداً بديوان المفرد، ومباشراً في بعض المدارس بالقاهرة، وبنى الجامع الكبير بالمحلة الكبرى المعروف بجامع المتولي (شكل ٢).

ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٦، ص ٢٤٣، ٢٤٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٥، ٤٦؛ وكذلك جامع المحمودية بالمنصورة، الذي بناه الأمير محمود بن عبد الله، من أمراء متفرقة ديوان مصر المحروس سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م، وجدد في القرن ١٣هـ/١٩م.

أرشيف وزارة الأوقاف: وثيقة رقم ٧٩٧، المحكمة (الصالحية) - موضوع التصرف (وقف) - المتصرف (الأمير محمود بن عبد الله) - تاريخ الوثيقة (١٣ رجب سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م).
من أمثلة ذلك ما يلي:

أقاليم يعينون من قبل السلطان أو الوالي أو الباشا في القاهرة كالكاشف مثلاً^٦ ، وهذا النوع قليل إلى حد ما ، أما الغالبية العظمى لأنواع هذه العمائر فهي عمائر أهلية بناها أهالي تلك المدن على اختلاف طبقاتهم ما بين تجار^٧ ومتصوفة ورجال

أ-عمائر الأمير حماد مقلد البقري والمتمثلة في جامع ببلدة : ديرب نجم، وزاوية بميت غمر ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م (لوحة ١٠، شكل ٣٦، ٣٧).

دار الوثائق القومية : سجلات محكمة ميت غمر ، سجل ١٤ ، ص ٣٩ ، سطور ٦ - ٨ .
ب - المدرسة الرضوانية بدمياط والتي جدد عمارتها بالكامل الأمير "رضوان بن عبد الله الينجركي" رئيس فرقة مشاة بالإنكشارية سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م (لوحة ١٦، شكل ٣٣ ، ٣٤).
سهير جميل: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٧٧-٨٧ ؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص ٣٣٥.

ج- جامع عطاء الله السكندري ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، الذي شيده الأمير محمد جورجي باش جاويش الملتزم بنواحي المحلة الكبرى (شكل ١١) ، و جامع الأمير عبد الله عاصي جورجي ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م بالمحلة الكبرى (شكل ١٢).

تفيدة عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص ١٣٥-١٣٧؛ مجدي عبد الجواد: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ٥٠ ، ٥٣؛ وليد محمد شحاتة: أساليب التغطية في عمائر وسط الدلتا في العصرين المملوكي والعثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا، ٢٠١١م ، ص ٤٣ .

^٦ من أمثلة ذلك النماذج التالية : أ- جامع الأمير قُظْلُقْتُمُر العلاني ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م ، أحد أمراء السلطان الناصر محمد الذي أنشأه بقرية أبيج التابعة لبلدة أبيار بالغربية ، وهذا الجامع مندرثر حالياً ولم يتبق منه سوى نقش كتابي عبارة عن لوحة رخامية سجل عليها النص التأسيسي.

مجدي عبد الجواد علوان: إضافة جديدة إلى النقوش الكتابية الإسلامية المكتشفة في مصر، بحث ضمن حولية أجيديات ، مكتبة الإسكندرية ، العدد السابع ، ٢٠١٢م ، ص ٨١ ، ٩٣ .

ب- جامع السادات بمدينة بلبيس الذي بناه الأمير مصطفى كاشف بالشرقية سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م سعاد ماهر محمد:مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٣م، ج ٥ ، ص ١٦٢ .

ج- جامع الكاشف بالمحلة الكبرى والذي يرجع للقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي (شكل ١٤).

بالطبع كانت تلك الطبقة من الأغنياء ولديها القدرة المادية على تشييد العمائر الدينية ، تمثل ذلك في عدة نماذج منها : أ- المدرسة الْمُعِينِيَّة التي شيدها محمد معين الدين أحد كبار التجار بدمياط سنة ٨٥٤-٨٦١هـ/ ١٤٥٠-١٤٥٦م ، وعملت بها إضافات في العصر العثماني وتعد من روائع العمائر الدينية بالوجه البحري (لوحة ١٣-١٥، شكل ٨ - ٩).

السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٤؛ محمد موافي: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا ، ص ٢٦٣ - ٢٨٧؛ محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٥ .

ب- الجامع الكبير أو جامع الرويعي والمعروف بجامع زغلول برشيد ، جدده اثنان من كبار تجار رشيد وهما: علي زغلول وأحمد الرويعي ٩٨٣ - ١٠١٦ هـ/ ١٥٧٥ - ١٦٠٧م (لوحة ٥ ، ٦، شكل ٤).

حمزة عبد العزيز بدر: مسجد الرويعي برشيد المعروف بمسجد زغلول ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م ، بحث ضمن ندوة تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨م، مجلة كلية

الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٣٠ - ٣٥٢؛ محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل: رشيد النشأة الازدهار الانحسار، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م، ص ٨٥-٨٧؛ محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد، المحلة الكبرى، طبعة أولى، ١٩٩٣م، ص ٢٠-١٧.
ج- جامع الشريف المغربي بالمحلة الكبرى ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، من بناء أحد التجار المغاربة الذين استقروا بالمدينة (شكل ١٣).

يُجب ملاحظة الفارق فيما ورد بالمصادر التاريخية بين العنائر التي شُيّدت لبعض الصوفية بعد وفاتهم اعتقاداً من الناس فيهم، كالعامة التي أُجريت للجامع الأحمدى بطنطا في عهد كل من: السلطان قايتباي سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، والوالي على بك الكبير سنة ١١٨٢-١١٨٦هـ/١٧٦٨-١٧٧٢م، وعمارة جامع أبي العباس المرسى بالإسكندرية، وعمارة جامع عبد الرحيم القناني بمدينة فوه ١١٣٣هـ/١٧٢٠م (لوحة ١٢، شكل ١٦)، وهو مدفون أصلاً في مدينة قنا- وتلك التي أجزاها الصوفية ورجال الدين بأنفسهم لمنشآت حملت أسمائهم، مارسوا فيها النشاط الديني والتعليمي كالتدريس والتصوف.

ومن أمثلة ذلك النماذج التالية: أ- زاوية السادة الطرايينية بالمحلة الكبرى، وهى من إنشاء الصوفي زين الدين أبو بكر عمر الطرّيني سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، وتحولت فيما بعد إلى جامع كبير تم إزالته من قبل الأهالي عام ٢٠٠٧م.

ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٨، ص ٥١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٢٤، ١٢٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩، ص ١٧٧.

ب- جامع الحنفى بن كتيلة بالمحلة الكبرى، قام ببنائه الصوفي الشيخ: محمد بن كتيلة سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، وقد جُدد الجامع في العصر العثماني وبقي منه لأن مؤنثته المملوكية وقبة مؤرخة بسنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م.

السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢٤٨؛ الشعراني: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٨٨ - ١٠١.
تفيدة عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية، ص ١٢١؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ٣٣.

ج- جامعا الغمري: بميت غمر والمحلة الكبرى (التوبة) ٨٩٩-٩٠٥هـ/١٤٩٣-١٤٩٩م، وهما من إنشاء الصوفي أحمد بن محمد الغمري الأصل ثم المحلى، وقد أزيل الجامعان ولم يتبق منهما سوى مؤنثتيهما.

أرشف وزارة الأوقاف: وثيقة رقم ٧٨٧، صادرة من محكمة ميت غمر، موضوع التصرف (وقف)- المتصرف (سيدى أبى العباس أحمد الغمري بن الشيخ عبد الله محمد الغمري الواسطى)- التاريخ (١٠ رمضان ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م)؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٦١، ١٦٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٨، ص ٢٥، ٢٦.

الشعراني: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢١، ١٢٢؛ الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، ج ٢، ص ٢٣٣؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ٣٧، ٣٨، ١٧١، ١٧٢؛ ميكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ص ٢٠٩.

د- جامع أبى العباس الحريثي بالمحلة الكبرى ٩٤٥-٩٥١هـ/١٥٣٨-١٥٤٤م، من بناء الصوفي الشهير أبى العباس الحريثي المتوفي سنة ٩٤٦هـ/١٥٣٩م، والمدفون في زاويته بدمياط، وأكمل عمارته من بعده ولده سنة ٩٥١هـ/١٥٤٤م.

على مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٥، ص ١٨؛ نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٢٥٤؛

٢- كثرة الأوقاف التي أوقفها السلاطين والولاة على الممالك^٩، وعلى عمائرهم بالقاهرة^{١٠}، فضلاً عن الأوقاف السلطانية، وأوقاف الدواوين مثل ديوان المفرد^{١١} والذخيرة الشريفة (الجبخانة)^{١٢}، وكانت معظم هذه الأوقاف في مدن وقرى الوجه

تقيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية، ص ٢٨٣-٢٩٧؛ توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص ٥٣؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ٤٤، ٤٥.

هـ- مدرسة أحمد الجبم بأبيار ١٠٣١هـ/١٦٢٢م وترجع أصولها للعصر الأيوبي، لكن ترجع عمارتها الحالية للعصر العثماني (لوحة ٢١-٢٣، شكل ٣٥).

تقيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية، ص ١٥١-١٦١؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ٩٠، ٩٥.

^٩ ارتبط نظام الإقطاع في مصر في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م أساساً بالأرض الزراعية، وعبر المقرئ عن ذلك بقوله "وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا فإن أراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده، وفي الروك الناصري أمر الناصر محمد بن قلاوون بإفراء عشرة قراريط لخاصته و أربعة عشر قيراطاً لجميع الجيش من أمراء وأجناد.

أرشيف وزارة الأوقاف: وثيقة رقم ٧٩٧، المحكمة (الصالحية)- موضوع التصرف (وقف)- المتصرف (الأمير محمود بن عبد الله)- تاريخ الوثيقة (١٣ رجب سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)؛ محمد أمين: منشور بمنح إقطاع من عصر السلطان الغوري (وثائق توزيع الإقطاع في مصر في عصر سلاطين المماليك)، بحث ضمن مجلة حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المجلد التاسع عشر، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢، ٣.

^{١٠} دار الوثائق القومية: حجة وقف السلطان الأشرف أبو النصر إينال، رقم ٣٤٦، موضوع التصرف (وقف)، المتصرف فيه (أراضي زراعية بالدقهلية والشرقية وسنديون)، تاريخ الحجة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م، ٩٢١هـ/١٥١٥م)؛ دار الوثائق القومية: حجة وقف القاضي الزيني أبو بكر يحيى، رقم ١١٠، موضوع التصرف (وقف)، المتصرف فيه: أراضي زراعية بالمنوفية والدقهلية و فارسكور، تاريخ الحجة (٨٦٦هـ/١٤٦١م).

^{١١} ديوان أحدثه السلطان الظاهر برفوق في سلطنته وأفرد له بلاداً، وأقام له المباشرين وجعل فيه الإستادارة الكبيرة، ورتب عليه نفقه ممالكه من جامكيات وعليف وكسوة وغير ذلك، قال القلقشندي "وليس هو المخترع لهذا الاسم، بل رأيت في ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على إنه كان لل خليفة ديواناً يسمى بالديوان المفرد".

القلقشندي: صبح الأعشى، طبعة بيروت، ج ٢، ص ٥٢٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ٩، ص ٣٥؛ أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، دار المعارف، ص ٧٢؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ٢٣٤؛ محمد رمزي: تعليقات على كتاب النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٣٠٠، حاشية ٤.

^{١٢} الجبخانة: لفظ تركي مكون من: جبة أي الدرع المكون من أكثر من جزء، وتعني صانع الدروع، واستعمل اللفظ في العصر المملوكي بالمعنى نفسه في كلمة زردكاش، أما كلمة خانة فهي الدار، وجبخانه هو مكان حفظ الدروع في الأصل ثم شمل أيضاً مكان حفظ البارود والقنابل والأسلحة والذخائر.

محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ٥١؛

البحري^{١٣}، ونظراً لوجود عديد من هذه الأوقاف فقد كانت سبباً في تشييد بعض من هؤلاء الأمراء أصحاب الأوقاف - عمائر دينية بأماكن أوقافهم^{١٤}.
٣- تشترك هذه العمائر في استخدامها لعناصر البيئة المحلية المتاحة من مواد البناء المختلفة كالطوب الآجر والطوب المنجور^{١٥} (لوحة ١- ٣، ٥) والخشب البلدي، بينما ندر استعمال الحجر^{١٦} والرخام لعدم وجود محاجر قريبة.

الجدير بالذكر أنه كانت توجد جبهانات متنقلة استعملت في الحروب و المعارك الصغيرة .
الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م ، ج ٧ ، ص ٢٦ ؛
وقد ورد في النص التأسيسي لمنبر جامع ولى الدين بالمحلة الكبرى والمؤرخ بسنة ١٠٣٧هـ / ١٧٥٢م في حشوتين ما نصه : أنشأ هذا المنبر العبد الفقير إلى الله/ إبراهيم جركس بيه ناظر الجبخانه الشريفة .
^{١٣} شرف الدين يحيى بن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، المطبعة الأهلية، ١٨٩٨م، ص ١٤ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٢-٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

^{١٤} من بين هؤلاء الأمراء على سبيل المثال: الأمير قطلقتمر العلاني ، أحد أمراء السلطان الناصر محمد ، وكانت قرية أبيج التابعة لبلدة أبيار بالغربية ضمن إقطاعه الذي آل بعد وفاته إلى الأمير أزدمر الإبراهيمي ، وقد بني بها جامعاً سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م ، وهو مندثر حالياً .
ابن الجيعان: التحفة السنية ، ص ٧١ ، ١٠٧ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م ، ص ٥٤٨؛ تقي الدين المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج٣ ، ق ١ ، الطبعة الثانية ، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية ، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٩٩، ٧٥ ، ١٠٠ ؛ مجدي علوان : إضافة جديدة إلى النقوش الكتابية الإسلامية المكتشفة في مصر، ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

^{١٥} امتازت تلك العمائر بجمال التشكيل البنائي بالآجر، حيث استعمل بكثرة في الواجهات والمداخل وحول عقود المحاريب وفي الأحزمة أسفل شرفات المؤذنين بالمآذن، وأصبح من أهم السمات العامة المميزة لعمائر الدلتا في مدن: الإسكندرية ورشيد وفوه ومطويس وإدفينا وأبيار والمحلة وسمنود ودمياط.

حسن عبد الوهاب: البناء بالطوب في العصر الإسلامي، مجلة العمارة، العدد ٣-٤، المجلد الثاني، ١٩٤٠م، ص ٢٢٢، ٢٢٣ ؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ١٩٩-٢٠٣ ؛ ياسر إسماعيل عبد السلام: العوامل المؤثرة على مخططات العمائر الدينية العثمانية في القاهرة والوجه البحري، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، ص ١١٠، ١٠٨ .

^{١٦} استعمل الحجر في بناء وتشكيل واجهات عدد محدود جداً من عمائر الدلتا الدينية ، انحصر في واجهة مدرستين بدمياط هما : المعينية ٨٥٤-٨٦١هـ/ ١٤٥٠-١٤٥٦م (لوحة ١٣ ، شكل ٨)، والرضوانية ١٠٢٩ هـ / ١٦١٩م (لوحة ١٦)، بينما بنيت ثلاث مآذن فقط بالحجر، في حين اشترك الحجر والطوب في بناء ثلاث مآذن أخرى بنيت قواعدها من الحجر .
مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٩٨ .

٤- اعتمادها إلى حد كبير على الطرز المعمارية الوافدة إليها من مدينة القاهرة في الوحدات والعناصر المعمارية، وعناصر التشكيل الخارجي و الداخلي مع الاختلاف في النسب والمساحات^{١٧}.

٥- كثرة طوائف الحرفيين من بنائين ونجارين وغيرهم^{١٨} ، وتنقلهم للعمل في مدن الدلتا المختلفة، مما أدى إلى نشر الطرز الفنية بين عمائر تلك المدن ومن أمثلة ذلك:

٥/١- النجار المعلم "عبد الجواد المحلاوي" وأصله من مدينة المحلة الكبرى وله فيها أشغال خشبية متنوعة منها منبر جامع ولى الدين المندثر والمؤرخ بسنة ١٠٣٧هـ / ١٧٥٢م^{١٩} ، وقد قام بصنع مقصورة ضريح مدرسة أحمد البجم بأبيار ١٠٣١هـ / ٦٢٢م مسجلاً توقيعه عليها بما نصه: "عمل المعلم عبد الجواد المحلاوي".

٥/٢- المعلم عطية الرشيدي الذي كان من بنائي مدينة رشيد وله فيها عمائر متنوعة، وقام ببناء جامع الحلبي بإدفينا ١١٧٠هـ / ٧٥٦م ، مسجلاً توقيعه على الباب البحري للقبّة بما نصه: "عمل المعلم عطية الرشيدي المعروف بابن يوسف البنا[ء]"^{٢٠}.

و بعد هذا التمهيد الذي يعطى فكرة عامة عن طبيعة العمائر الدينية التي شيّدت إبان العصرين المملوكي والعثماني بمدن الدلتا وقراها- فسنتناول دراسة للتخطيط المقارن للعمائر الباقية منها مع نماذج مدينة القاهرة.

بداية : بلغ إجمالي عدد العمائر الأثرية الباقية التي شملتها الدراسة أربعون أثراً ، منها سبعة آثار ترجع للعصر المملوكي ، وثلاثة وثلاثون أثراً ترجع للعصر العثماني^{٢١} ، وينبغي أن نشير إلى ثلاثة محاور أساسية قبل دراسة تخطيط عمائر الدلتا الدينية:

^{١٧} حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ، ص ١٢٧.

^{١٨} حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية ، بحث ضمن مجلة المجمع العلمي المصري ، المجلد ٣٦ ، ١٩٥٣-١٩٥٤م ، ص ٥٤٧ - ٥٥٥ ؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص ٧٤٢ - ٧٤٧؛ هند على حسن منصور: طوائف المعمار في مصر من الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر دراسة أثرية حضارية وثائقية ، رسالة دكتوراه، كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٢٣-١٢٥ ، ١٢٧-١٣١.

^{١٩} حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع ، ص ٥٤٨؛ محمود سعد الجندي: أشغال الخشب بعمائر وسط الدلتا الدينية منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٣م ، ص ١٧ ؛ هند على حسن منصور: طوائف المعمار في مصر ، ص ١٣٨.

^{٢٠} حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع ، ص ٥٥٣ .

^{٢١} سوف نتناول في هذا البحث دراسة جامعين تحت مسمى واحد ، وهو جامع الرويعي أو زغلول، حيث يوجد قسم مملوكي مؤرخ بسنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، وقسم آخر عثماني مؤرخ بسنة ٩٨٣-١٠١٦هـ / ١٥٧٥-١٦٠٧م ، وسيلي تفسير ذلك.

- ١- أجريت لعناصر ذات أصول مملوكية - عمارة شاملة في العصر العثماني^{٢٢}.
 - ٢- تحتفظ بعض العناصر بتخطيطها المملوكي الأصلي ، لكنها تضمنت وحدات معمارية وعناصر تكوين داخلي من العصر العثماني، كالمداخل والقباب الضريحية والمآذن والمنابر^{٢٣}.
 - ٣- اعتمد تخطيط عناصر مدن الدلتا الدينية وقراها بصفة أساسية على طرز التخطيط الوافد إليها من مدينة القاهرة ، والتي انتشر فيها التخطيط المصري المحلي التي شيدت على نسقه عناصرها خلال العصرين المملوكي و العثماني^{٢٤}.
- هذا ويمكن إحصاء هذه العناصر مكانياً و وظيفياً، وفقاً للنصوص التأسيسية، وحجج الوقف، وما ذكر عنها في المصدر التاريخي طبقاً للجدول والعلاقات البيانية التالية:

م	نوع المنشأة	العدد
١	جامع	٣٥
٢	مدرسة	٤
٣	زاوية	١

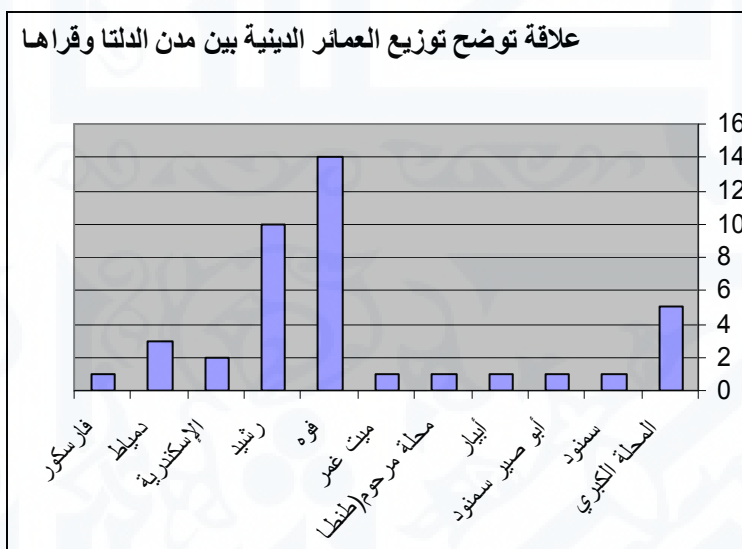
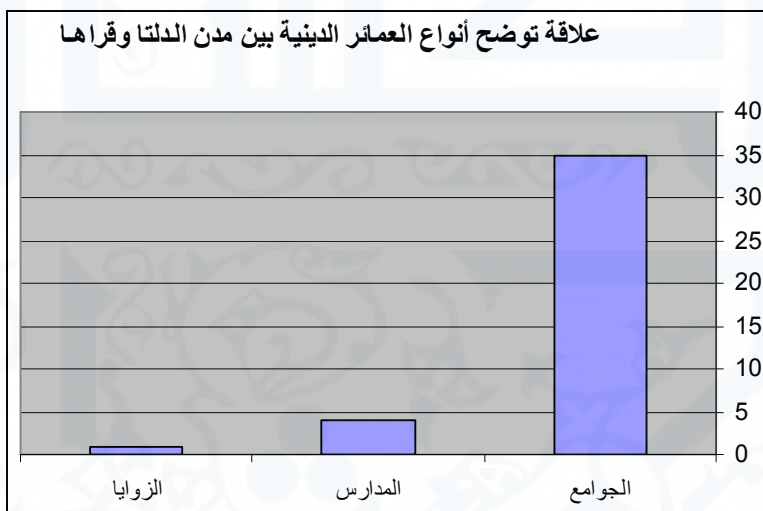
^{٢٢} من أمثلة ذلك : جامع أبو المكارم بفوه ، وترجع أصوله المعمارية إلى سنة ١٧٤٠هـ/١٣٣٩م ، لكنه جُدد بالكامل في العصر العثماني سنة ١١٤٩هـ/١٧٣٦م (لوحة ١١)، وجامع حسن نصر الله بفوه أيضاً ويرجع تاريخ بناؤه لسنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م ، وجدد سنة ١١١٥هـ/١٧٠١م .

حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ٣٩ ؛ محمد عبد العزيز السيد : عناصر مدينة فوه العصر العثماني ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٢١ ؛ وليد محمد شحاتة: أساليب التغطية في عناصر وسط الدلتا ، ص ٣٦ .

^{٢٣} من أمثلة ذلك : جامع المتولي بالمحلة الكبرى ٨١٣هـ/١٤١٠م وبه منبر مؤرخ بسنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م، وجامع المحلي برشيد ويرجع للعصر المملوكي، أجريت له عمارة سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م، يحتفظ منها بالمداخل والمنذنة والمنبر والقبّة الضريحية .

محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل : رشيد النشأة الأزدهار الانحسار، ص ٩٢؛ محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

^{٢٤} محمد حمزة الحداد: الطراز المصري لعناصر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م ، ص ٢١ - ٢٤ ؛ محمد حمزة الحداد: عناصر القاهرة الدينية في العصر العثماني ، بحث ضمن مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٣٧ ، ١٩٩٣م ، ص ١٠٥-١١٦ .



١- عماير العصر المملوكي:

بقى من العماير المملوكية في الدلتا سبعة عماير، من بينها ستة جوامع ومدرسة واحدة فقط .

١/١ - الجوامع: تنحصر هذه الجوامع فيما يلي: جامع عمرو بن العاص أو الفتحي العتيق والمعروف حالياً بأبي المعاطي بدمياط ٧٧١هـ/١٣٦٩م^{٢٥} (لوحة ١-٣، شكل ١)،

^{٢٥} من أقدم الجوامع في مدينة دمياط ، ترجع أصوله للعصر الفاطمي في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، ذكر المقرئ في أثناء زيارته لدمياط أوائل القرن ٩ هـ/١٥م أنه شاهد نقشاً بالخط الكوفي الفاطمي على باب هذا الجامع ، وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي

الجامع الكبير أو جامع المتولي بالمحلة الكبرى ٨١٠ - ٨١٣هـ/١٤٠٧-١٤١٠م^{٢٦} (شكل ٢)، الجامع الكبير أو جامع المتولي بقرية أبو صير مركز سمنود (ق ٩هـ/١٥م)^{٢٧} (لوحة ٤، شكل ٣)، وثلاثة جوامع برشيد هي: زغول (القسم المملوكي)

بالقاهرة ، الجدير بالذكر أنه بعد انتهاء حملة الملك لويس التاسع على دمياط سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م بسنة أشهر - خربت مدينة دمياط ولم يتبق منها سوى هذا الجامع ، سمي بجامع الفتح نسبة لنزول الشيخ فاتح بن عثمان الأسمر التكروري وإقامته به سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، وظل به يلقي دروس العلم، وأجرى له عمارة حتى توفي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م، ودفن بجوار الجامع وعرف منذ ذلك الحين باسم "جامع الفتح" ، و في العصر المملوكي قام الأمير سيف الدين بلبان الحسامي والى دمياط بتجديد الضريح والجامع في عمارته الحالية، وسجل نص هذه العمارة في حشوه خشبية كانت على منبره ، ذكر فيها اسم الأمر بعمل المنبر الحاج شمس الدين الطرابلسي، وتوقع النجار الصانع المعلم أحمد بن يوسف سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، ساءت حالته المعمارية في الستينيات من القرن الماضي ، وانتهى المجلس الأعلى للآثار من ترميم شامل له سنة ٢٠١١م .

دار الوثائق القومية: سجلات محكمة دمياط ، سجل رقم ٧٥ ، ص ٦٠؛ جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً ، ص ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ؛ حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ١٩ ، ٢٠ ؛ حسن عبد الوهاب: توقيعات الصناع ، ص ٥٤٧ ؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص ٤٤ ، ٢٤٤ ؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد : رحلة ابن بطوطة ، ص ١٩٩؛ مجدي علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ١٩١ ؛ محمد عطا: مدينة دمياط، ص ٦٢ ، ٦٢٥؛ محاضر لجنة حفظ الآثار العربية: كراسة رقم ٤١ ، ١٩٥٤-١٩٦١م ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٦١ ؛

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1927-1929 , Le Caire 1934 , p.51-53,pl.VI.

^{٢٦} شيد هذا الجامع في العصر المملوكي الجركسي ، وهو الجامع الكبير بالمحلة الكبرى و كانت تعلق بمداخله المراسيم السلطانية ، تبقى منها مرسوم باسم السلطان الظاهر جقمق مؤرخ بسنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م، كما حُصص لصلاة متولى الحكم الشريف بالمحلة خلال العصرين المملوكي والعثماني، ويضم منبراً مؤرخاً بسنة ١١٣٧هـ/١٢٢٤م، وهو من أكمل العماير الباقية بالدلتا، توالى عليه الإضافات المعمارية عبر العصور كان آخرها سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م، ومن المرجح أن هذه الإضافات كانت عبارة عن توسعات في الجهة الجنوبية الشرقية ، حيث لوحظ إنشائياً إن أروقة وبائكات الجزء الجنوبي الغربي وموضع المئذنة بهما اختلافات معمارية عن باقى الأجزاء تتمثل في: اتجاه أرجل العقود ومنسوبها في الجهة البحرية ، عدم انتظام الرواق البحري حيث يتكون من بائكتين ثم يضيق مكوناً بائكة واحدة في الجهة الغربية ، منطقة اتصال قاعدة المئذنة بالبائكات الملاصقة لها(شكل ٢) .

مجدي علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ٢٧ ، ٢٨ .
^{٢٧} من خلال التخطيط المقارن لهذا الجامع وقياساً على جوامع مدينة المحلة الكبرى وسمنود المنذرة فيه يمكن تأريخ هذا الجامع إلى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي على أقل تقدير، على الرغم من احتواءه على مئذنة ترجع للقرن ١٢هـ/١٨م.

٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م^{٢٨} (لوحة ٦،٥، شكل ٤)، والمحلي^{٢٩} (لوحة ٧، شكل ٥، ٦)، والجندي^{٣٠} (لوحة ٨، ٩، شكل ٧).

^{٢٨} يُعد هذا الجامع من أكبر الجوامع الأثرية بالدلتا، أطلقت عليه الوثائق اسم الجامع الكبير، أثبتت حول تاريخه عدة آراء جدليه، حيث قامت إحدى الدراسات بتصنيفه تاريخياً والوقوف على منشئه من خلال الوثائق، وفي دراسة وثائقية أخرى تم تنفيذ هذا التصنيف (لوحة ٥، شكل ٤). حمزة عبد العزيز بدر: مسجد الرويعي برشيد المعروف بمسجد زغول ١٠١٦هـ/١٦٠٧م، ص ٣٣٠ - ٣٥٢؛ محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل: رشيد النشأة الازدهار الانحسار، ص ٨٥ - ٨٧؛

محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد، ص ١٧ - ٢٠.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن تأريخ هذا الجامع بناء على بعض الشواهد منها البقايا الأثرية من القسم الغربي المملوكي، ومقارنته بعمائر أخرى مشابهة، ويمكن سياق ذلك في النقاط التالية:

١- إطلاق الوثائق على هذا الجامع اسم الجامع الكبير دليل على أنه من أقدم الجوامع التي بنيت برشيد، وهي تسمية وجدت في العديد من مدن وقرى الدلتا بغرض تمييز أقدم الجوامع وأكبرها بها عن باقي الجوامع مثل مدن: رشيد - فوه - المحلة الكبرى - أبيار - سمند - أبوصير مركز سمند - دمياط، المنزل، وغالباً ما كانت تعلق بمدخله المراسيم السلطانية كوسيلة إعلامية للناس.

٢- بُني الجامع بالطوب والمونة أسرومبل مع التدعيم بميد خشبية مفرزة، وجاء تخطيطه على هيئة صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة، قسمت إلى بانكات من أعمدة رخامية ودعامات طوبية تحمل عقوداً مدببة تسير أرجلها في اتجاهين: مواز وعمودي على جدار القبلة، تحصر بينها مناطق مربعة تسقفها قباب ضحلة، ويربط بين أرجل العقود أوتار خشبية برسم القناديل (لوحة ٥).

٣- يحتفظ هذا القسم ببقايا المئذنة المملوكية والمدخل البحري الذي ثبت به النص التأسيسي المؤرخ بسنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م.

٤- بمقارنة هذا الجامع بجامع أبو المعاطي بدمياط والمؤرخ بسنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م (لوحة ١، ٢) من حيث مواد البناء والعناصر الإنشائية والتخطيط الداخلي والمداخل - يتبين لنا أن هناك تشابهاً كبيراً بين الجامعين، وبناء عليه فإن القسم الغربي من الجامع المسمى خطأً باسم جامع زغول يرجع للعصر المملوكي البحري سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، وتوالت عليه الإضافات في العصور التالية مما أدى إلى تكوين قسم آخر في العصر العثماني في الجهة الشرقية في عمارة أجراها التجار: أحمد الرويعي والحاج زغول، مؤرخة في الفترة ٩٨٣-١٠١٦هـ/١٥٧٥-١٦٠٧م (لوحة ٦)، ولذلك فسوف نتناول دراسة الجامع المملوكي في هذا الجزء من البحث، والجامع العثماني ضمن العمائر العثمانية.

مجدى علوان: مآذن العصرين المملوكي والعثماني، ص ١٤٠، ١٤١.

^{٢٩} ترجع أصول هذا الجامع إلى القرن ١٠هـ/١٦م حسبما أشارت العديد من الوثائق، وأجريت له عمارة سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م، شملت: المئذنة والأعمال الخشبية والضريح.

محمد طاهر الصادق و محمد حسام إسماعيل: رشيد النشأة الازدهار الانحسار، ص ٩٢؛ محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد، ص ٣٨.

^{٣٠} ينسب للأمير محمد الجندي، وترجع أصوله المعمارية ومنها التخطيط ومئذنته إلى ما قبل سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م حسبما أشارت العديد من الوثائق إلى ذلك، بني بالأجر فيما عدا قاعدة المئذنة فقط فبنيت من الحجر الجيري، أجريت له عمارة سنة ١١٣٣هـ/١٧٢١م، كما هو مسجل على المنبر الخشبي والعتب الخشبي للمدخل الشمالي الشرقي.

أما بالنسبة لتخطيط هذه الجوامع فنستطيع أن نميز طرازاً واحداً تشترك فيه ، وهو الطراز الشائع بها والوافد إليها من مدينة القاهرة ، ويتمثل في التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة ، الذي يمثل التخطيط التقليدي لعمارة الجوامع في مصر الإسلامية ، ويتكون بصفة عامة من صحن أوسط مكشوف مستطيل محاط بأربعة أروقة ، أكبرها وأعماقها رواق القبلة ، نظمت في كل رواق بئكات ذات عقود مدببة من الطوب، محمولة إما على أعمدة من الرخام أو الجرانيت الأحمر الوردي أو الأسود، وإما على دعائم من الطوب أو الحجر ، يسير اتجاه أرجل هذه العقود في اتجاهين: إما مواز لجدار القبلة وهو الشائع ، وإما عمودي عليها ، يسقفها سقف خشبي مسطح من عروق وألواح كما في جامع أبي المعاطي، وجامعي المتولي بالمحلة وأبو صير، و جامع المحلى برشيد ، أو تسقفها قباب ضحلة تنكئ على مثلثات ركنية بسيطة نتجت من تقاطع أرجل العقود الموازية والعمودية كما في جامعي زغلول والجندي برشيد (لوحة ٢ ، ٤ ، ٥ - ٩ ، شكل ١-٥ ، ٧).

١/١/١- وصف تخطيط الجوامع:

١/١/٢/١- جامع أبي المعاطي:

كشفت أعمال الترميم المعماري التي قام بها المجلس الأعلى للآثار للجامع عام ٢٠١١م ، من خلال مشروع كبير يستند إنشائياً على بقايا قواعد الأعمدة الرخامية والجرانيتية ، والدعائم الطوبية ، وأساسات الحوائط الحاملة للجدران (لوحة ١-٣)- أن التخطيط العام للجامع عبارة عن مضلع غير منتظم لمستطيل مساحته الكلية ٤٠٨١ م^٢، صممت كتلة المحراب في ركنه الجنوبي الشرقي في جدار طوله ٢٢,٤٠م ، يميل عن الضلعين الجنوبي والشرقي بزاوية مقدارها ١٢٠° (شكل ١)، يتوسط الجامع صحن أوسط مكشوف مستطيل أبعاده ٣٦×٢٢,٣٠م^٢ محاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، تتعامد عليه عقود بئكات الأروقة من جهاته الأربع ، يتميز التخطيط بوجود مجاز قاطع لبئكات الرواق الجنوبي يربط بينه وبين المدخل الرئيس الجنوبي (لوحة ٢).

الرواق الجنوبي: يقسمه المجاز القاطع إلى قسمين ، قسم شرقي به كتلة المحراب ، يتكون من أربع بئكات من عقود مدببة يسير اتجاه أرجلها موازية للجدار الجنوبي، تتعامد عليها ثلاث بئكات يسير اتجاه أرجل عقودها عمودي على الجدار نفسه (شكل ١)، وقسم جنوبي مكون من أربع بئكات موازية للجدار الجنوبي ، تقطعها أربع بئكات تتعامد على الجدار نفسه.

الرواق الغربي: يتكون من سبع بئكات تتعامد على الجدار الغربي .

الرواق الشمالي: يتكون من أربعة عشر بئكة عمودية على الجدار الشمالي .

الرواق الشمالي الشرقي: يتكون من بئكتين موازتين للجدار الشمالي الشرقي تكتنفهما بئكتان أخريان عموديتان على الجدار نفسه .

١/١/٢/٢- جامع المتولي بالمحلة الكبرى:

عبارة عن صحن أوسط مكشوف مستطيل أبعاده $22,90 \times 22,50$ م^٢ ، تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، تم تقسيمه إلى أربع بئكات تتكون من أعمدة رخامية وجرانيتية متنوعة ، تحمل عقوداً مدببة تسير أرجلها موازية لجدار القبلة ، يقابله الرواق الشمالي الغربي ويتكون من بئكتين ، أما الرواقان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي فيشتملان على خمس بوائك ، ويشرفان على الصحن ببائكة من عقود عمودية على جدار القبلة (شكل ٢).

١/١/٢/٣- جامع المتولي بأبوصير :

عبارة عن مستطيل مقسم إلى أربعة أروقة حول صحن مكشوف أبعاده $9,2 \times 10,0$ م^٢ ، أكبرها رواق القبلة ، حيث يشتمل على ثلاث بئكات من أعمده رخامية تحمل عقوداً مدببة موازية لجدار القبلة ، يقابله الرواق البحري ويشتمل على بئكة واحدة ، أما الرواقان الجانبيان فيشتمل كل منهما على ثلاث بئكات من عقود موازية لجدار القبلة ويشرفان على الصحن ببائكة عقودها عمودية على جدار القبلة (لوحة ٤، شكل ٣).

١/١/٢/٤- جامع زغلول(القسم المملوكي):-

عبارة عن صحن وأربعة أروقة ، قسم رواق القبلة فيه إلى خمس بئكات ، والرواق البحري إلى بئكة واحدة ، أما الرواقان الجانبيان فمن ثلاث بئكات ، يسقفها جميعاً قباب ضحلة تستند على حنايا ركنية بسيطة، وتميل كتلة المحراب عن الضلعين الجنوبي و الشرقي بزاوية مقدارها 120° كما في جامع أبو المعاطي بدمياط (لوحة ٣، شكل ٤، ١).

١/١/٢/٥- جامع المحلي:

التخطيط العام عبارة عن مستطيل به انحرافات في الضلعين الجنوبي والشرقي ، التخطيط الداخلي عبارة عن صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة غير منتظمة تم تقسيمها إلى بئكات عبارة عن أعمدة رخامية وجرانيتية مستديرة تحمل عقوداً مدببة يسقفها سقف خشبي من عروق وألواح (لوحة ٧) على النحو التالي:

رواق القبلة: مقسم إلى سبع بئكات من الأعمدة لرخامية المستديرة تحمل عقوداً مدببة تسير أرجلها موازية لجدار القبلة.

الرواق الشمالي الغربي: من أربع بئكات عبارة عن عقود مدببة تسير أرجلها موازية لجدار القبلة.

الرواق الشمالي الشرقي: مقسم إلى أربع بئكات تحمل عقوداً مدببة أرجلها مواز لجدار القبلة ، وتشرف على الصحن ببائكة من عقود .

الرواق الجنوبي الغربي: من ثلاث بئكات من أعمدة تحمل عقوداً مدببة .

صممت كتلة المحراب في ركنه الجنوبي الشرقي في جدار طوله ٨ م ، يميل عن الضلع الجنوبي بزاوية مقدارها ١٢٠ ° ، متشابهة في ذلك مع جامعي : أبو المعاطي وزغلول السابق ذكرهما ، وتقع خلفه المئذنة العثمانية (شكل ١ ، ٤ ، ٥).

١/١/٢/٦-جامع الجندي:-

التصميم العام عبارة عن مستطيل غير منتظم به انحرافات في جدره الخارجية نتج عنها وجود فراغات غير منتظمة تم استغلالها مع التخطيط الداخلي في عمل حجرات استخدمت كحجرات ومرافق خدمية (شكل ٧)، أما التخطيط الداخلي فعبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة ، أكبرها رواق القبلة ، قسمت إلى بانيكات عبارة عن أعمدة من نوعين: رخامية ذات تيجان كورنثية وأخرى حجرية مئمنة ومستديرة ، ودعامات من الطوب ، تحمل عقوداً مدببة يسير اتجاه أرجلها مواز وعمودي على جدار القبلة حيث تكوّن مناطق مربعة تسقفها قباب ضحلة محمولة على مناطق انتقال عبارة عن حنايا ركنية بسيطة ، يتكون رواق القبلة من مساحة مستطيلة تشتمل على ثلاث بانيكات ، أما الرواق البحري فيشتمل على بانيكتين ، بينما يتكون الرواق الجنوبي الغربي من أربع بانيكات ، أما الرواق الشمالي الشرقي فيتكون من بانيكتين البانكة الخلفية عبارة عن دعامات من الأجر (لوحة ٨ ، شكل ٥).

١/١/٢-ملاحظات على التخطيط :

١/١/١/١- نظمت كتلة المحراب في جدار في الركن الجنوبي الشرقي يميل عن الجدر المستقيمة للجامع بزاوية منفرجة كما في جامعي: أبو المعاطي وزغلول والمحلي (شكل ١ ، ٤ ، ٥)، وهو أمر قليل الحدوث ، إذ إن الغالب وضع كتلة المحراب في جدار مستقيم طويل كما في باقي الجوامع.

١/١/١/٢- وجود مجاز قاطع يصل بين كتلة المدخل الجنوبي الرئيس وصحن جامع أبو المعاطي ليس له علاقة بكتلة المحراب (شكل ١ ، لوحة ٢).

١/١/١/٣- استخدام القباب الضحلة المبنية بالطوب كأحد أساليب التغطية في جامعي : زغلول والجندي (لوحة ٥ ، ٦ ، ٩).

وعند تأصيل هذا الطراز من التخطيط نجد أنه ينتمي إلي التخطيط التقليدي لعمارة المساجد الجامعة في العمارة الإسلامية ، والتي اتخذت من تخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنموذجاً أساسياً لها مع الاختلاف في النسب والمساحات والتفاصيل المعمارية كعدد الأروقة مثلاً ، وقد شاع هذا الطراز بين عمارة الجوامع في مصر وبلدان العالم الإسلامي^{٣١} ، منذ الفتح الإسلامي وحتى ظهور طراز الإيوانات ، ومن أمثلة هذا التخطيط بين جوامع مدينة القاهرة : جامع أحمد بن طولون ٢٦٣- ٢٦٥ هـ/ ٨٧٦- ٨٧٨ م ، الجامع الأزهر ٣٥٩- ٣٦١ هـ/ ٩٧٠- ٩٧٢ م ، جامع الحاكم ٣٨٠- ٤٠٣ هـ/ ٩٩٠- ١٠١٣ م ، ومن أمثلة جوامع العصر المملوكي

^{٣١} غاسيري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، ترجمة: علي الصادق حسنين، طرابلس، ١٩٧٣م، ص ٣٢ ، ٣٦-٤١.

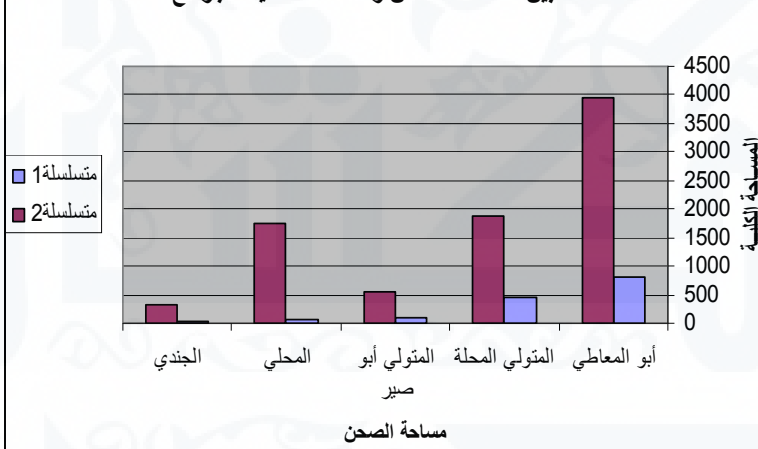
البحري: جامع الظاهر ببيرس بميدان الظاهر ٦٦٥-٦٦٧ هـ/ ١٢٦٦-١٢٦٩ م ، جامع قوصون بالحلمية (مندثر) ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠ م، جامع أُلّماس الحاجب بالحلمية ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠ م ، جامع الناصر محمد بالقلعة ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٤ م، جامع الطنبغا المارداني بالتبانة ٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠ م، جامع آق سنقر الناصري بشارع باب الوزير ٧٤٨ هـ/ ١٣١٧ م، جامع شيخون العمري بشارع الصليبية ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م ، ومن جوامع عصر المماليك الجراكسة : جامع المؤيد شيخ المحمودي ٨١٨-٨٢٣ هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠ م ، جامع لاجين السيفي بالسيدة زينب ٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩ م، جامع القاضي يحيى بالحبانية ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م ، جامع ابن بردك بشارع أم الغلام ٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠ م .

١/١/٣- العلاقة بين التخطيط والصحن:

نال الصحن أهمية كبيرة في التخطيط العام للجوامع موضع البحث باعتباره مركز هذا التخطيط ، حرص المعمار من خلاله على إيجاد نسبة وتناسب بين المساحة الكلية الداخلية للجامع والمساحة المخصصة للصحن، ومن خلال دراسة الجوامع موضع البحث تبين ما هو موضح بالجدول والعلاقة البيانية التالية:

م	الجامع	إجمالي المساحة	مساحة الصحن	نسبة الصحن من المساحة
١	أبو المعاطي	٢م ٣٩٥٢	٢م ٨٠٢,٨	٣١,٧ %
٢	المتولي بالمحلة	٢م ١٨٧١,١٠	٢م ٤٤١	٢٣,٥٠ %
٣	المتولي بابو صير	٢م ٥٦٠,١٤	٢م ٨٣,٩٢	١٥ %
٤	زغلول	-	-	-
٥	المحلي	٢م ١٧٣٥	٢م ٥٦,٤٠	٣,٢١ %
٦	الجندي	٢م ٣٠٢	٢م ٣٠,١٥	١٠ %

العلاقة بين مساحة الصحن والمساحة الكلية للجوامع



ويلاحظ من خلال هذه العلاقة ما يلي:

١/١/٣/١- يوجد تناسب طردي بين المساحة الداخلية للجامع والمساحة التي يشغلها الصحن ، وهو أمر طبيعي يحقق وظيفة الصحن^{٣٢} .

١/١/٣/٢- تمثلت أكبر مساحة للصحن في جامع أبي المعاطي نظراً لكبر مساحته الكلية (شكل ١).

١/١/٣/٣- تمثلت أصغر مساحة للصحن في جامع المحلي ، وهو أمر غير طبيعي لا يتناسب مع كبر مساحته الكلية (شكل ٥) ، حيث جاءت بنسبة ٣,٢١% ، والسبب في ذلك أن التوسعات التي تمت عبر الفترات التالية في الأروقة تمت على حساب النسبة المخصصة للصحن ، وذلك لعدم وجود فراغ خارجي يحيط بالجامع لظروف موقعة، مما أثر على ضعف الإضاءة الطبيعية الداخلية للجامع والتي تتم من خلال الصحن.

١/٢ - المدارس :

بقيت مدرسة واحدة فقط من مدارس العصر المملوكي التي كانت قائمة في الدلتا، وهي المدرسة المُعِينِيَّة بدمياط^{٣٣}، والتي تعد بحق من روائع العمائر الإسلامية في مصر بصفة عامة والدلتا بصفة خاصة^{٣٤} (لوحة ١٣- ١٥، شكل ٨ ، ٩).

^{٣٢} من أهم عناصر الانتفاع بالمنشأة و من أهم وظائفه: التهوية والإضاءة وتيسير الاتصال والحركة بين الإيوانات والأروقة والمرافق الداخلية المختلفة.

محمد عبد الستار: نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية بالبقية بمدينة القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٥٧- ٢٥٩ ، ٣٩١ ، ٤٢١-٤٢٢.

^{٣٣} لم تستقر الدراسات السابقة التي تناولت هذه المنشأة من قبل والتي سيلي ذكرها - علي مسمى وظيفي صحيح لها، ونعتوها بالجامع والمدرسة والخانقاه، وتم تحديد المسمى الوظيفي الصحيح لها وهو مصطلح "المدرسة" ، من خلال دراسة أجراها الباحث عنها في ضوء ذكرها في وثائق الوقف المتعلقة بها ، والإشارة المصدرية التي أوردتها السخاوي عنها ، وتطبيقاً على معايير إطلاق المسمى المناسب علي العمائر المملوكية بمدينة القاهرة ، والتي من أهمها رغبة الواقف وإمكاناته المادية.

مجدي علوان: المدرسة المُعِينِيَّة بدمياط (٨٥٤-٨٦١هـ/١٤٥٠-١٤٥٦م) دراسة أثرية معمارية ، بحث قيد النشر ضمن مجلة لبده الكبرى ، كلية الآثار والسياحة ، جامعة المرقب، ليبيا ، العدد الأول، ٢٠١٤م ؛ محمد عبد الستار عثمان، مسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة ، دار الوفاء للطباعة ، الإسكندرية، ٢٠٠٨م ، ص ٣٤- ٨٣.

^{٣٤} أشاد فرنس باشا مهندس ديوان الأوقاف ولجنة حفظ الآثار العربية ، وأحد الأجانب الذين عملوا في دراسة التراث المعماري الإسلامي بمصر والحفاظ عليه- بهذه المدرسة ، حيث جاء في التقرير الذي أعده سنة ١٩٨٣م لتسجيل المدرسة المعينية ضمن الآثار الإسلامية ما يفيد ذلك ، وقال إنها تضارع عمائر القاهرة حيث قال " جامع المعيني بدمياط...مهم في حد ذاته وتاريخه من الجبل الثامن عشر للهجرة... وأن أجزاء هذا المسجد فيها دلالة علي تاريخ الصناعة في أقاليم القطر وتستحق كل التفاتنا إليها فإن المباني معمولة بدقة كبيرة وبغاية التناسب..." ، اهتمت بها لجنة حفظ الآثار العربية وأعدت لها مقاييسات معمارية لترميمها.

كراسات لجنة حفظ الآثار العربية: المجموعة العاشرة، تقرير القومسيون الثاني، ترجمة: إلياس اسكندر حليم، ١٨٩٣م، ص ٥ ، ٧ ، ٨.

يرجع تاريخ بنائها إلى العصر المملوكي الجركسي سنة ٨٥٤-١١٦١هـ/١٤٥٠م و تنسب لمحمد بن محمد بن محمد معين الدين^{٣٥} ، أجريت عليها بعض الترميمات المعمارية في العصر العثماني سنة ١٠٩٠-١١٠٩هـ/١٦٧٩-١٦٩٧م ، وأضيفت إليها بعض الأشغال الخشبية كالمنبر وحجاب الضريح ودكة المبلغ في عصر محمد علي سنة ١٢٣٦-١٢٣٨هـ/١٨٢٠-١٨٢٢م، لكن تلك الإضافات لم تغير من تخطيطها الأصلي^{٣٦}.

١/٢/١- تخطيط المدرسة:-

صممت المدرسة المعينية وفق طراز التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أو درقاعة، ويتكون من صحن مستطيل مكشوف حالياً لكنه كان مغطى في الأصل^{٣٧} ، فرشت أرضيته بمربوعات ومداور رخامية من أروع الأرضيات الرخامية في العمائر الإسلامية بمصر (لوحة ١٤، ١٥)^{٣٨}، تحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة (شكل ٩)، وهو التخطيط الأكثر انتشاراً بين عمارة المدارس في مصر خلال العصر المملوكي البحري.

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1893, Le Caire 1906, p.11-12.

Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe , Exercice 1927-1929 , Le Caire 1934 , p.48, pp.51-53.

^{٣٥} السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٤؛ حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية، ص ٢٠، ٢١؛ قدرية توكل البنداري ، رؤية جديدة حول تأريخ مسجد المعيني بدمياط دراسة أثرية، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو، ٢٠٠٩م، ٢٩٣-٣٥٣؛ محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٦ ، ٣١٧؛ محمد عبد القادر موافي: المنشآت المعمارية المملوكية في شرق الدلتا، ص ٢٦٣ - ٢٨٧.

^{٣٦} تمثلت هذه الأعمال في ترميم سقف صحن المدرسة ، وبياض القبة الضريحية ، وعمل أشغال خشبية تمثلت في مقصورة حول الضريح مؤرخة بسنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م ، ومنبر مؤرخ بسنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢م، وسجل تاريخ هذه الإضافات في نقش كتابي سجل علي لوحة رخامية مؤرخة بسنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٠م .

محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣.

^{٣٧} الصحن مكشوف حالياً ، لكن كشفت مجموعة الصور القديمة للمدرسة كانت ضمن التقرير الذي أعده فرنس باشا عن المدرسة لعرضه علي لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٨٩٣م - أنه كان مغطى بسقف خشبي، وحدث له ترميم في العصر العثماني سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م (لوحة ١٤) .

محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٢٤؛ كما كشفت أعمال الترميم الدقيق ضمن مشروع ترميم المدرسة الحديث عن وجود براطيم مملوكية أصلية أسفل بقايا السقف العثماني .

^{٣٨} وائل زكريا أحمد البلهبي: طرق نزع وعلاج وإعادة تركيب وصيانة الفسيفساء الرخامية و الأرضية تطبيقاً على أرضية مسجد المعيني، رسالة ماجستير ،كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢١٩؛ وتنشابه تماماً مع أرضية مدرسة أزبك اليوسفي ٩٠٠هـ/١٤٩٤م بحي طولون قسم الخليفة بالقاهرة.

١/٢/٢- علاقة التخطيط بوظيفة المدرسة:-

أدت المدرسة المعينية إلى جانب وظيفة التدريس - وظيفة التصوف كخانقاه ^{٣٩} ، حيث ذكر السخاوي في ترجمته لمنشئ المدرسة ما نصه " ... وابتني بدمياط مدرسة هائلة وعمل بها شيخاً (وصوفية...) " ^{٤٠} ، كما ذكرت إحدى الوثائق أن عدد المتصوفة بها في العصر العثماني بلغ سبعة عشر صوفياً ، وهو عدد أقل بكثير مما كان عليه في العصر المملوكي ^{٤١} ، ويمكننا القول بأن التخطيط ذي الإيوانات الذي صممت علي نسقه المدرسة - كان ملائماً لتأدية وظيفة التدريس والخطابة ، والتصوف أيضاً كوظيفة إضافية ، خاصة في وجود منبر ومذنتين ^{٤٢} و خلاوي للطلبة ، علي أن يكون ذلك في وقت معين من اليوم كعقب صلاة العصر مثلاً ، وبحضور الطلبة والمتصوفة معاً ^{٤٣} .

١/٢/٣- وصف التخطيط:-

روعي في التصميم العام للمدرسة المعينية - النسب المعمارية وإحكام البناء ودقته ، خاصة وأنها بنيت بالطوب باستثناء الواجهة الحجرية (لوحة ١٣ - ١٥) ، ارتقت به إلى

^{٣٩} تعدد الوظائف في المنشأة الواحدة أمر قائم بين العمانر المملوكية ، و طبقاً للنصوص التأسيسية و حجج الوقف - فقد أدت بعض مدارس القاهرة في عصر المماليك الجراكسة ذات الأواوين الأربعة وظيفة التصوف كخانقاه ، نموذج ذلك: مدرسة السلطان الظاهر برفوق بالناحسين حسبما جاء في نصها التأسيسي " ... أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برفوق... " ، وما جاء في حجة الوقف " ... وبصرف ما يحتاج إليه.../من ريع الوقف المذكور وأن يقرأ من الكتاب بالمدرسة الخانقاه المذكورة بحضور المتصوفين المذكورين/ وبحضور شيخ الخانقاه المذكورة منه ومن بعد حضور من الطلبة المذكورين ... " .

دار الوثائق القومية: حجة وقف السلطان برفوق ، رقم ٥١ ، نوع التصرف (وقف) ، بتاريخ ٦ شعبان سنة ٧٨٨هـ ، المتصرف فيه (اصطبلان ورواقان وحمام بالقاهرة وقرية ببيت المقدس وقرية بالجولان بسوريا) ، ورقة ٤٧ من اللقافة ، سطر ١٠ ، ١١ .

محمد حمزة الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، بحث ضمن سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٥١، ١٩٩٢م، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، حاشية ١٢١ ص ٣٤٢؛ محمد عبد الستار: نظرية الوظيفة ، ص ٢٦٣ ؛ محمد عبد الستار ، مسميات المنشآت الدينية المملوكية ، ص ٦٧، ٦٨ .

^{٤٠} السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٤ .

^{٤١} محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٧ .

^{٤٢} مجدى علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٩١ ، ٢٠٧ .

^{٤٣} من أشهر المدارس التي أدت هذه الوظائف مجتمعه: مدرسة الأشرف برسباي بشارع المعز ٨٢٦-٨٢٩هـ/١٤٢٣-١٤٢٥م ، فقد وقفها السلطان برسباي لتكون جامعاً وخانقاه ، كما رتب بها عدداً من الصوفية يجتمعوا مع شيوخهم عقب صلاة العصر يومياً ، ورد ذلك في وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ أوقاف .

محمد عبد الستار عثمان : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٧٨ .

تصميم المدارس المملوكية كبيرة المساحة في العصر المملوكي ، وهي عبارة عن مستطيل أبعاده $29,50 \times 52,50$ م^٢ ، وجد به انحراف في الجهة الشرقية استفاد منه المعمار بوضع كتلة المدخل ودركاته وقبة المنشئ ، بينما حافظ علي استطالة داخلية منتظمة لوضع الإيوانات والصحن والمرافق الداخلية (شكل ٩) ^{٤٤} ، جاء تخطيطها الداخلي عبارة عن صحن أوسط أبعاده $13,06 \times 12,80$ م^٢ ، وبذلك يكون إجمالي مساحة المدرسة $1548,75$ م^٢ ، شغل الصحن منها مساحة $167,17$ م^٢ بنسبة $10,8\%$ ، وهو ما روعي فيه مركزية الصحن خاصة مع كبر مساحته، حيث جاءت نسبته إلي باقي الإيوانات علي التوالي : $1 : 1,3 : 1,7 : 7,4$ ، وتميز التصميم بالانفتاح على الداخل ، حيث انتظمت أغلب عناصر المدرسة حول الصحن ، الذي تتوزع منه الحركة أفقياً إلي الإيوانات الأربعة ، ورأسياً إلي الخلاوي والسطح ، ودمج المعمار في هذه المدرسة بين غرضين وظيفيين هما العمارة التعليمية وعمارة التصوف.

صُمم إيوان القبلة فيها علي هيئة مستطيل أبعاده $13,60 \times 9,10$ م^٢ ، يشرف علي الصحن بفتحة عقد مدبب اتساعه $10,50$ م (لوحة ١٤) ، يقابله الإيوان البحري ومساحته $13,60 \times 7,28$ م^٢ (شكل ٩) ، أما الإيوانان الجانبيان - فمتماثلان حيث تبلغ مساحتهما $6,12 \times 3,70 = 22,64$ م^٢ ويشرفان علي الصحن بفتحة عقد مدبب اتساعها $6,50$ م ، ويسقف المدرسة سقف خشبي من براطيم نفذت عليها زخارف ملونة .

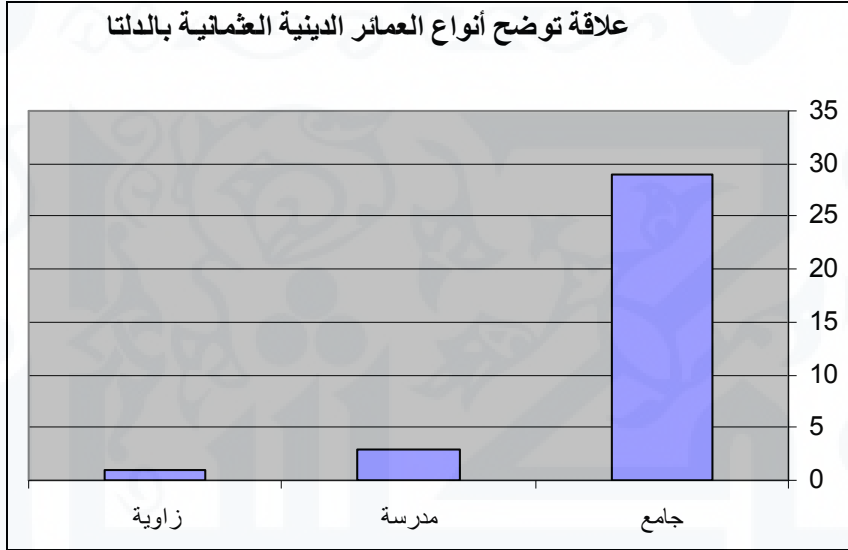
وعند تأصيل هذا التخطيط نجده أنه كان يمثل النموذج الرئيس الذي انتشر بين مدارس العصر المملوكي بشقيه البحري والجركسي، حيث نجده ممثلاً في النماذج التالية: مدرسة الناصر محمد بالبحاسين 703 هـ / 1303 م، مدرسة صرغتمش بشارع الصليبية 757 هـ / 1256 م، مدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين 757 هـ / 764 هـ / 1363 م، مدرسة أم السلطان شعبان بشارع باب الوزير 770 هـ / 1368 م، مدرسة أولجاي اليوسفي بشارع سوق السلاح 774 هـ / 1372 م، مدرسة الظاهر برقوق بالبحاسين 786 - 788 هـ / 1384 - 1386 م، مدرسة جمال الدين الإستاذار بالجمالية 811 هـ / 1408 م، مدرسة عبد الغنى فخرى 821 هـ / 1418 م بشارع بورسعيد، مدرسة القاضي عبد الباسط بالخرنفش 823 هـ / 1420 م، مدرسة الأشرف برسباي بالبحاسين 826 - 829 هـ / 1422 - 1425 م^{٤٥} .

^{٤٤} من أمثلة المدارس المملوكية التي صممت بهذه الطريقة مدرسة المنصور قلاوون 683 - 684 هـ / 1284 - 1285 م، ومدرسة الناصر محمد 703 هـ / 1303 م، مدرسة أولجاي اليوسفي بشارع سوق السلاح 774 هـ / 1372 م، في حين تمثلت أروع نماذجها في مدرسة السلطان حسن 757 - 764 هـ / 1363 - 1368 م.

^{٤٥} تناولت عديد من الدراسات العلمية تخطيط المدارس ذات الإيوانات : أصوله ونشأته ، تطوره و نماذج من بينها: أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني، العصر الأيوبي، دار المعارف، 1969 م، ص 167 - 192 ؛ حسن الباشا : دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري

٢- عمائر العصر العثماني:

بقى من العمائر العثمانية الدينية في الدلتا ثلاثة وثلاثين أثراً ، منها تسع وعشرون جامعاً ، وثلاث مدارس ، وزاوية واحدة فقط ، تبين ذلك العلاقة البيانية التالية:

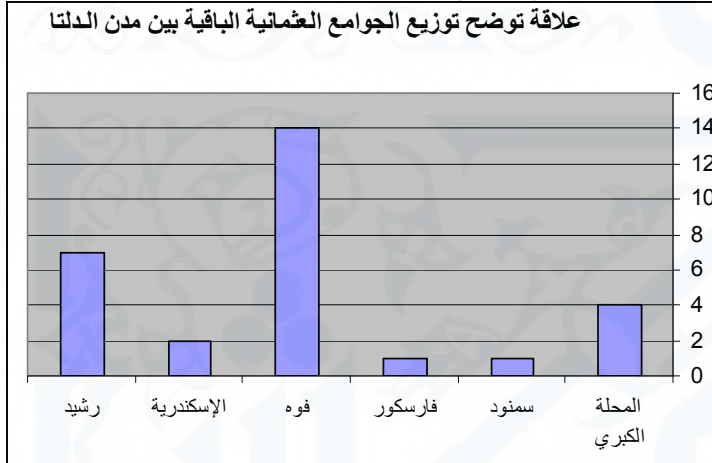


للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد ٣ ، ١٩٨٩م ، ص ٤٩ ؛ حسنى نويصر : عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية ، بحث ضمن ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥١ ، ١٩٩١م ، ص ٢٣١ : ٢٥٥ ؛ صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر ، ص ١٧ - ١٩ ؛ محمد حمزة : العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة ، ص ٢٧١ : ٣٨٦ ؛ محمد عبد الستار : نظرية الوظيفية ، ص ٢٦٦-٢٦٩ ؛ محمد عبد الستار عثمان ، مسميات المنشآت الدينية المملوكية وعلاقتها بالتخطيط والوظيفة ، ص ٣٤ - ٨٣ ؛ مصطفى نجيب : نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ج٢ ، ١٩٧٨م ، ص ٢٧ ؛

Creswell (K.C), *The Origins of the Cruciform Plan of Cairene Madrasahs*, Bulletin d'l institut Francais d'Arche'ologic Orientale, Tome XXI, le caire, 1922, PP.1 -54 .
Creswell (K.C), *Muslim Architecture of Egypt*, Vol 2, Oxford, 1959, PP.112- 134 .

٢/١ - الجوامع :

تحتفظ مدن الدلتا بعدة جوامع ترجع للعصر العثماني تبيينها العلاقة البيانية التالية :



ويمكن حصر هذه الجوامع في المدن والقرى علي النحو التالي :

المحلة الكبرى: جامع عطاء الله السكندري بشارع الجيارة ١١٠هـ/١٦٩٨م، جامع عبد الله عاصي بسوق الليمون ١١٣٥هـ/١٧٢٢م، جامع الشريف المغربي بسوق السلطان ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، جامع الكاشف بالصهاريج ق ١٢هـ/١٨م (شكل ١١ - ١٤).

سمندود: جامع القاضي حسين ق ١٢هـ/١٨م (شكل ١٥).

فوه: جامع حسن نصر الله ١١١٥هـ/١٧٠١م ، جامع القنائي ١١٣٣هـ/١٧٢٠م ، جامع الصعيدي بالعلوي ١١٣٣هـ/١٧٢٠م، جامع السادات السبعة ١١٣٤هـ/١٧٣١م ، جامع الكورانية ١١٣٩هـ/١٧٢٦م ، جامع شعبان ١١٤٧هـ/١٧٣٤م ، جامع أبو عيسى ١١٤٨هـ/١٧٢٥م ، جامع أبو المكارم ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، الجامع العمري أو البرلسي ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، جامع الروبي ١١٤٩هـ/١٧٣٥م ، جامع داعي الدار ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، جامع نظر خان ١١٤٩هـ/١٧٣٦م جامع النميري ١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، جامع أبو شعرة ١١٥١هـ/١٧٣٨م^{٤٦} (شكل ١٠، ١٦ - ١٩).

رشيد: جامع الرويعي ٩٨٣-١٠١٦هـ/١٥٧٥-١٦٠٧م (زغلول)، جامع دومقسي ١١١٤هـ/١٧٢٠م، جامع التقى ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، الصامت ١١٤٧هـ/١٧٣٤م، جامع العرابي (النصف الأول من القرن ١٢هـ/١٨م) ، جامع المشيد

^{٤٦} حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية ، ص ٣٩ ، ٤٠ ؛ محمد عبد العزيز السيد : عمائر مدينة فوه ، ص ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ .

بالنور ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤م، جامع العباسي (ق ١٢ هـ / ١٨م)^{٤٧} (لوحة ٦، ١٧، ١٨، شكل ٤، ٢٠-٢٧، ٣٠).

الإسكندرية: جامع إبراهيم تربانة ١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥م، جامع عبد الباقي جوربجي ١١٧١ هـ / ١٧٥٨م^{٤٨} (لوحة ١٩، ٢٠، شكل ٢٨، ٢٩).

فارسكور: جامع الحديدي ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥م^{٤٩} (شكل ٣١).

٢/١/١ - أنواع التخطيط:

يمكن حصر تخطيط هذه الجوامع في الأنواع الرئيسة التالية:

٢/١/١/١ - التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة:

انحصر هذا التخطيط في جامعين فقط هما: جامع الرويعي أو زغلول برشيد (القسم العثماني) ٩٨٣ - ١٠١٦ هـ / ١٥٧٥ - ١٦٠٧م (لوحة ٣، شكل ٤)، جامع العمري بفوه ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م (شكل ١٠)، ويتكون بصفة عامة من صحن أوسط مكشوف مستطيل محاط بأربعة أروقة في جامع العمري، وثلاثة أروقة فقط في جامع الرويعي، أكبرها وأعماقها رواق القبلة، نظمت في كل رواق بانيات ذات عقود مدببة من الطوب، محمولة إما على أعمدة من الرخام أو الجرانيت الأحمر الوردي أو الأسود، وإما على دعائم من الطوب أو الحجر، يسير اتجاه أرجل هذه العقود في اتجاهين: إما مواز لجدار القبلة، وإما عمودي عليها، يسقفها سقف خشبي مسطح من عروق وألواح كما في جامع العمري، أو تسقفها قباب ضحلة تتكئ على مثلثات ركنية بسيطة نتجت من تقاطع أرجل العقود الموازية والعمودية كما في جامع الرويعي (لوحة ٦، شكل ٤).

١/١/١ - وصف تخطيط الجامعين:

١/١/١/١ - جامع الرويعي: عبارة عن صحن مكشوف وثلاثة أروقة، أعماقها رواق القبلة ويتكون من أربع بانيات موازية لجدار القبلة تتقاطع مع عشر بانيات عمودية، أما الرواق الشمالي الشرقي فمن أربع بانيات تتقاطع مع سبع عمودية على جدار القبلة، بينما الرواق الجنوبي الغربي الملاصق للجامع المملوكي فيتكون من بانيكة واحدة فقط تسير عقودها موازية للجدار نفسه، يسقه قباب ضحلة من الطوب (لوحة ٦، شكل ٤).

١/١/١/٢ - الجامع العمري: عبارة عن صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة، يتكون رواق القبلة من بانيكتين عبارة عن سبعة عقود محمولة على ستة أعمدة، أما

^{٤٧} حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية، ص ٣٦؛ محمود درويش: المساجد الأثرية برشيد، ص ٥٠، ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٥، ٨٨، ٨٩.

^{٤٨} أحمد دقماق: مساجد الإسكندرية الباقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الهجرة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٠-٤٩، ٨٠-٩٢؛ حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية، ص ٢٦، ٢٧.

^{٤٩} حسن عبد الوهاب: طرز العمارة الإسلامية، ص ٢٢، ٢٣؛ سهير جميل: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا، ص ١٠٣، ١١٨.

الرواقان الجانبيان من بائكة واحدة تشتمل على عقدين يشرفان على الصحن بعقدين يسير اتجاه أرجلهما عمودي على جدار القبلة، بينما الرواق البحري من بائكة واحدة. بلغ إجمالي مساحة الجامع الداخلية: ٣٧٣,٣٧م^٢، شغل الصحن منها مساحة ٧١,٥٦م^٢ بنسبة ١٩,٢%.

أما عن تأصيل هذا التخطيط فإنه ينتمي للتخطيط التقليدي لعمارة الجوامع، وقد سبق تأصيله ضمن الجوامع المملوكية الواردة بالبحث، ويعد تخطيط هذين الجامعين امتداداً له في العصر العثماني، ومن أمثلته في هذا العصر بالقاهرة: جامع عثمان كتحدا (الكخيا) بميدان الأوبرا ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، ويتكون رواق القبلة فيه من ثلاث بائكات، في حين تشتمل باقي الأروقة على بائكة واحدة، وجوامع: مصطفى ميرزا ببولا ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، الفكهاني بالعقادين ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م، السادات الوفائية بالقرافة ١١٩١ - ١١٩٩هـ/ ١٧٧٧-١٧٨٤م، وجميعها مكونة من أروقة حول صحن، توزيع البائكات فيها (١/١/١/٢)، يسقفها سقف خشبي مسطح من براطيم وألواح، يضاف إلي تلك النماذج جامع آخر متأخر نوعاً ما، يختلف في طريقة تسقيفه بقباب ضحلة، مكون من مساحة مربعة مقسمة إلى أربعة أروقة حول صحن مكشوف توزيعها (١/١/١/١)، وهو جامع يوسف كتحدا المعروف بجامع الشاطبي بمنطقة الإمام الشافعي ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م.

٢/١/١/٢ - التخطيط ذو الأروقة دون صحن أو درقاعة:

يعتبر هذا النوع من التخطيط أكثر الأنواع انتشاراً بين تخطيط الجوامع العثمانية الباقية بالدلتا، إذ صمم علي نسقه أربع وعشرون جامعاً هي: جامع عطاء الله السكندري ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، جامع حسن نصر الله ١١١٥هـ/ ١٧٠١م، جامع القنائي ١٣٣٣هـ/ ١٧٢٠م، جامع الصعيدي ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، جامع السادات السبعة ١١٣٤هـ/ ١٧٣١م، جامع عبد الله عاصي ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م، جامع الكورانية ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، جامع التقى ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، جامع الصامت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، جامع شعبان ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، جامع أبو عيسى ١١٤٨هـ/ ١٧٢٥م، جامع أبو المكارم ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، جامع الروبي ١١٤٩هـ/ ١٧٣٥م، جامع داعي الدار ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، جامع نظر خان ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، جامع النميري ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، جامع العرابي (النصف الأول من القرن ١٢هـ/ ١٨م)، جامع أبو شعرة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، جامع الشريف المغربي ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، جامع المشيد بالنور ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، جامع الحديدي ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، جامع الكاشف و جامع القاضي حسين و جامع العباسي (ق ١٢هـ/ ١٨م) (شكل ١١- ١٩، ٢١، ٢٣-٢٦، ٢٨-٣١).

° محمد أبو العمايم : آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسیکا)، المجلد الأول، استانبول ٢٠٠٣م، ص ٥١٥ - ٥١٧.

ويتكون هذا النموذج من مساحة مستطيلة مقسمة إلى أروقة بواسطة عدد من البناكات ذات العقود المدببة التي تسير اتجاهاتها موازية لاتجاه جدار القبلة ، يسقف هذه الأروقة مجمعة سقف خشبي من عروق وألواح ملساء أو مزخرفة بالتلوين ، غطيت البلاطة الوسطى من الرواق الأوسط في كثير منها بشخشيخة خشبية ترتفع عن مستوى مسطح باقي السقف ، فتحت بها نوافذ للإنارة والتهوية كما في جوامع : عبد الله عاصي والقاضي حسين والقنائي والصامت وداعي الدار والحديدي (شكل ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٣١) ، باستثناء جامع المشيد بالنور ، الذي غطيت أروقه بقباب ضحلة من بينها قبة للشخشيخة تتخللها نوافذ (شكل ٢٦ ، ٢٧) .

وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجد أنه أكثر أنواع التخطيط شيوعاً بين الجوامع العثمانية في مدينة القاهرة ، حيث صمم علي نسقه عديد من الجوامع منها : جامع مراد باشا ٩٧٦-٩٧٩هـ/١٥٦٨-١٥٧١م ، جامع مسيح باشا ٩٨٣هـ/١٥٧٥م ، جامع مرزوق الأحمدي ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م ، جامع محرم أفندي المعروف بجامع الكردي ١١٣٦هـ/١٧٢٣م ، جامع الشيخ مطهر ١١٥٨هـ/١٧٤٥م ، جامع الغريب ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ، جامع العريان شارع باب البحر ١١٧١-١١٧٣هـ/١٧٥٧-١٧٥٩م ، جامع الشيخ رمضان ١١٧٥هـ/١٧٦١م ، جامع يوسف جورجي ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ، جامع البيومي ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ، جامع العربي قبل ١١٨٣هـ/١٧٦٩م ، جامع محرم ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م ، جامع جانبلط ١٢١٢هـ/١٧٩٧م^{٥١} . ويمكن تقسيم أنواع هذا النموذج من حيث عدد الأروقة بين هذه الجوامع إلى أربعة أنواع علي النحو التالي:

٢/١/١/٢/١ : مساحة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين من عقود مدببة من الطوب ، تسير اتجاهاتها موازية لجدار القبلة ، ويتمثل هذا التخطيط في ستة جوامع هي : جامع السادات السبعة ١١٣٤هـ/١٧٣١م ، جامع شعبان ١١٤٧هـ/١٧٣٤م ، جامع داعي الدار ١١٤٩هـ/١٧٣٦م ، جامع الشريف المغربي ، جامع القاضي حسين ، جامع الكاشف ، جامع العباسي ق ١٢هـ/١٨ (شكل ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠) ، وعند تأصيل هذا النوع من التخطيط نجده ممثلاً في أحد عشر جامعاً بالقاهرة علي النحو التالي : جامع مسيح باشا بمنطقة عرب اليسار ٩٨٣هـ/١٥٧٥م ، جامع مراد باشا بشارع الموسكى ٩٨٦هـ/١٥٧٨م ، جامع مرزوق الأحمدي بالجمالية ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م ، جامع الشيخ مطهر بالصاغة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ، جامع الغريب خلف الجامع الأزهر ١١٦٨هـ/١٧٥٤م ، جامع الشيخ رمضان برحبة عابدين ١١٧٥هـ/١٧٦١م ، جامع الهياثم أو يوسف جورجي بدرب الجماميز ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ، جامع البيومي بالحسينية ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ،

⁵¹ محمد حمزة : عمائر القاهرة الدينية في العصر العثماني "دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية" ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٣٧ ، ١٩٩٣م ، ص ١١٢ .

جامع العربي بالغورية ١١٩٩هـ/١٧٨٤م، جامع محمود محرم بالجمالية ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، جامع جانبلاط بعابدين ١٢١٢هـ/١٧٩٧م^{٥٢}.
٢/٢/١/٢: عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى أربعة أروقة بواسطة ثلاث بائكات من عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ويتمثل هذا النوع في ثلاثة عشر جامعاً هي: جامع عطاء الله السكندري ١١١٠هـ/١٦٩٨م، جامع حسن نصر الله ١١١٥هـ/١٧٠١م، جامع القنائي ١٣٣٣هـ/١٧٢٠م، جامع الصعيدي ١١٣٣هـ/١٧٢٠م، جامع عبد الله عاصي ١١٣٥هـ/١٧٢٢م، جامع التقى ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، جامع الصامت ١١٤٧هـ/١٧٣٤م، جامع الروبي ١١٤٩هـ/١٧٣٥م، جامع نظر خان ١١٤٩هـ/١٧٣٦م، جامع النميري ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، جامع العرابي (النصف الأول من القرن ١٢هـ /١٨م)، جامع أبو شعرة ١١٥١هـ/١٧٣٨م، جامع المشيد بالنور ١١٧٨هـ/١٧٦٤م (شكل ١١، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٣-٢٦).

وبتأصيل هذا النوع من التخطيط نجده ممثلاً في جوامع القاهرة التالية: مسجد الكردي أو محرم أفندي بالسيدة زينب ١١٤٥هـ/١٧٣٢م، مسجد أبي السعود الجارحي بالفسطاط ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، مسجد أحمد العريان بباب الشعرية ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، مسجد الشيخ كشك بشارع البقلي (ق ١٢هـ/١٨م)^{٥٣}.

٢/٢/١/٢/٣: عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى خمسة أروقة بواسطة أربع بائكات من عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ويتمثل هذا النوع في ثلاثة جوامع هي: جامع الكورانية ١١٣٩هـ/١٧٢٦م، جامع أبو عيسى ١١٤٨هـ/١٧٢٥م، جامع أبو المكارم ١١٤٩هـ/١٧٣٦م، وقد وجد هذا التخطيط في جامع سليمان باشا الخادم ببولاق ٩٣٧هـ/١٥٣١م^{٥٤}.

٢/٢/١/٢/٤: عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى ستة أروقة بواسطة أربع بائكات من عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ويتمثل هذا النوع في جامع واحد فقط هو جامع الحديدي بفارسكور، وتخطيطه عبارة عن مستطيل منتظم تم تقسيمه إلى ستة أروقة بواسطة خمس بائكات من أعمدة مسدسه من الطوب، تحمل عقوداً مدببة أرجلها موازية لجدار القبلة تربط بينها أوتاراً خشبية للتدعيم، ويسقفه سقف خشبي من عروق وألواح، فتح في البلاطة الوسطى للرواق الرابع شخشيخة للإنارة والتهوية (شكل ٣١)

^{٥٢} استمر تأثير هذا التخطيط في عصر محمد علي، ومن أمثله: جامع حسن باشا طاهر ببركة الفيل ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م، جامع سليمان أغا السلحدار بشارع المعز ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، جامع الجوهري بالموسكي ١٢٦١-١٢٦٥هـ/١٨٤٥-١٨٤٨م).

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ص ٣٥٧ : ٣٦٢؛ محمود محمد الألفي: العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن التاسع عشر (أسرة محمد علي بالقاهرة)، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ص ١٥٥ : ١٨٧.

^{٥٣} محمد أبو العمايم: آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، ص ٢٤٢، ٣٥٣، ٣٥٩، ٤١٧.

^{٥٤} محمد أبو العمايم: آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، ص ٥٥ : ٥٨.

٢/١/١/٣-التخطيط ذو الأروقة دون صحن أو درقاعة محاط بخرجات (سقائف) خشبية:

ينتمي هذا التخطيط إلى النوع السابق من تخطيط الجوامع العثمانية مع الاختلاف في أمرين جوهريين مما جعلنا نفرده نوعاً من التخطيط لما يلي:

٢/١/١/٣/١: أنها جوامع معلقة مكونة من دورين ، دور أرضي به حوانيت ^{٥٥} ، ودور علوي به المسجد "إيوان الجامع" ^{٥٦} ، الذي جاء تخطيطه من أروقة ذات بائكات من عقود موازية لجدار القبلة.

٢/١/١/٣/٢: وجود خراجات ^{٥٧} أو سقائف خشبية تبرز عن المسطح الأفقي للمسجد في الدور العلوي محمولة علي كوابيل وكمرات خشبية سميكة.

ويتمثل هذا النوع في ثلاثة جوامع منها جامعين بالإسكندرية هما: جامع إبراهيم تربانة ١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥ م و جامع عبد الباقي جوربجي ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م، و جامع دومقسييس برشيد ١١١٤ هـ / ١٧٢٠ م (لوحة ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ شكل ٢٠-٢٢ ، ٢٩، ٢٨).

وصف تخطيط الجوامع: تقع هذه الجوامع ضمن مجمع معماري معلق يضم مجموعة حوانيت في الدور الأرضي ، يعلوها المسجد في الدور الثاني ويصعد إليه بدرج ، جاء تخطيط المسجد في جامعي تربانة وعبد الباقي جوربجي من خمسة أروقة قسمت بواسطة أربع بائكات من عقود مدببة من الطوب تسير اتجاه أرجلها موازية لجدار القبلة (لوحة ١٩، ٢٠، شكل ٢٨ ، ٢٩) ، أما جامع دومقسييس فيتكون من ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين (لوحة ١٨) ، تبرز عن كل مسجد خراجات خشبية محمولة علي

^{٥٥} من الشائع بين جموة الأثريين أن يطلق علي المنشأة الدينية أياً كان نوعها لفظ "معلق" لوجود حوانيت أسفلها، وينبغي عدم تعميم هذه الفرضية إذ ليس بالضرورة وجود حوانيت فقط ، بل من الممكن وجود مرافق خدمية خاصة بعمارة المنشأة نفسها ، مثل زاوية الأمير حماد بميت غمر ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م، والمعروفة وثائقياً باسم "الزاوية المعلقة" ، ويتكون دورها الأرضي من مiazza ومطهرة وحجرات للصوفية وسلمين صاعدين للدور الثاني.

^{٥٦} عُبِرت بعض الوثائق عن هذا الجزء من الكتلة المعمارية للجامع باسم "إيوان الجامع" . أحمد دقماق: مساجد الإسكندرية ، ص ٤٤ .

^{٥٧} خرج يخرج خروجاً فهو خارج ، وخارج كل شيء ظاهره، ويطلق الخارج علي الأجزاء البارزة من المبني ويسمي "خارج أو خارجة" ، ورد بالوثائق " ... ثم إلي الخرجة المطلة علي الطريق الموعود بذكره المشتملة علي خزانة ومخباة ووجه خركاه مطلة علي الطريق..." ، واستعمل هنا كمصطلح وثائقي بمعنى زيادة أو سقيفة خشبية تمتد أفقياً خارج جدر المسجد ، ورد في حجتني وقف جامعي تربانة وعبد الباقي جوربجي، وهي إحدى المعالجات المعمارية التي لجأ إليها المعمار مراعاة للظروف المعمارية من جهة والبيئية المحيطة من جهة أخرى .

أحمد دقماق: مساجد الإسكندرية ، ص ٤٠-٤٩ ، ٨٠-٩٢ .

محمد أمين وليمي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، طبع الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ١٩٩٠ م، ص ٣٩؛ ياسر إسماعيل عبد السلام: العوامل المؤثرة على مخططات العمائر الدينية العثمانية ، ص ٦٦ ، ٧٠ .

كوابيل وكمرات خشبية ، بلغ عددها اثنتين في جامعي: تربانه ودومقسييس ، وثلاث في جامع عبد الباقي جوربجي ، والذي يعد أكثر هذه الجوامع تطوراً (شكل ٢١، ٢٢ ، ٢٨، ٢٩)، ونورد هنا وصفاً لجامع دومقسييس كنموذج لهذا التخطيط:

تخطيط جامع دومقسييس: يقع هذا الجامع ضمن مجمع معماري مكون من دورين وخرجتين خشبيتين (شكل ٢٠-٢٢): خصص الدور الأرضي ليكون منشأة تجارية عبارة عن مجموعة حوانيت تدر ريعاً يصرف على عمارة الجامع المذكور، ويتميز تخطيط هذا الدور بسمك جدره وحوائطه الحاملة وأقبية الطولية والمتقاطعة التي تسقفه ، وجميعها عناصر معمارية أدت وظيفة إنشائية مهمة هي حمل كتلة الجامع في الدور الثاني ، وخصص المعمار لكتلة المئذنة – منتصف الجهة الشمالية الغربية وبنائها بأساس من الأرض تخفيفاً للأحمال الواقعة على كتلة الدور الأرضي ، وتقع على محور أفقي مع المحراب.

الدور الأرضي: تخطيط هذا الدور عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت بواسطة حوائط حاملة ودعامات مستطيلة من الطوب وعمودين كبيرين من الجرانيت إلى سبعة عشر حانوتاً فرشت أرضيتها بحجر جيرى معصراني ، تسقفها أقبية طولية ومتقاطعة من الطوب (شكل ٢٠).

الدور الثاني: خصص هذا الدور للصلاة ، جاء تخطيطه عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين ، تتكون كل بائكة من خمسة أعمدة رخامية مستديرة تحمل ستة عقود مدببة تربط بين أرجلها أوتاراً خشبية برسم القناديل والتدعيم .

يحيط بالجامع من الخارج من الجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية سقيفة خشبية عبارة عن رواق واحد ، يتصدر كل سقيفة درابزين خشبي من قواطيع من سدايب رأسية وقوائم خشبية تمتد لأعلى حاملة سقف خشبي من عروق وألواح ، وتبرز أرضية السقيفتين نحو الخارج عن جدر الدور الأرضي محمولة على كوابيل وكمرات خشبية سميكة تثبت في الحوائط العليا للدور الأرضي، تدعّمها في الجهة البحرية ستة أعمدة حجرية (شكل ٢٠، ٢٢).

مما تقدم نخلص إليّ تميز تخطيط هذه الجوامع الثلاثة عن باقي الجوامع العثمانية موضع البحث ، والتي خُطت جميعها في مسقط أفقي من دور واحد ، حيث تميزت الجوامع الثلاثة بأنها معلقة أسفل حوانيت تجارية تتقدمها خرجات خشبية ، وقد أرجع أحد الباحثين هذا التخطيط كلياً إليّ المناخ والبيئة المحيطة لهذه الجوامع^{٥٨} ، في حين نري أن السبب الرئيس إليّ جانب ذلك : كون هذه الجوامع معلقة ، وهو أمر قل وجوده في باقي الجوامع بمدن الدلتا ، حيث حاول المعمار الإفادة القصوى من فرق المساحة البارزة العليا المعلقة بين الدورين السفلي والعلوي في جعلها أروقة إضافية

^{٥٨} ياسر إسماعيل عبد السلام: العوامل المؤثرة على مخططات العماثر ، ص ٦٦ ، ٦٧.

للمصلين محمولة علي كوابيل وكمرات خشبية مستعرضة تغطيها رفارف خشبية مائلة تقي المصلين حرارة الشمس والأمطار^{٥٩}.

٢/٢ - المدارس : تحتفظ الدلتا بثلاث مدارس ترجع للعصر العثماني وهي: مدرسة ابن بغداد ببلدة محلة مرحوم مركز طنطا ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م (شكل ٣٢)، المدرسة الرضوانية بدمياط ١٠٢٩هـ / ١٦١٩م^{٦٠} (لوحة ١٦ ، شكل ٣٣ ، ٣٤)، مدرسة أحمد البجم بأبيار مركز كفر الزيات ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م (لوحة ٢١-٢٣ ، شكل ٣٥)، و ينحصر تخطيط هذه المدارس في نوعين علي النحو التالي:

٢/٢/١- التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أو درقاعة:

انحصرت نماذج هذا النوع في نموذجين علي النحو التالي :

٢/٢/١/١- تخطيط عبارة عن صحن مغطي محاط بأربعة إيوانات، أكبرها الإيوان البحري وليس إيوان القبلة كما هو المعتاد في المدارس المملوكية ، ويتمثل هذا النموذج في المدرسة الرضوانية^{٦١} (شكل ٣٣ ، ٣٤).

٢/٢/١/٢- تخطيط عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بإيوانين وسدلتين: الإيوان الجنوبي الشرقي والإيوان الشمالي الغربي وأكبرهما إيوان القبلة ، أما السدلتان فجانبيتان هما :السدلة الجنوبية الغربية والسدلة الشمالية الشرقية ، ويتمثل هذا التخطيط في مدرسة ابن بغداد (شكل ٣٢) .

٢/٢/٢- التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة:

تمثل هذا التخطيط في مدرسة أحمد البجم ، ويتكون من صحن أوسط مكشوف محاط بثلاثة أروقة أكبرها رواق القبلة^{٦٢} (لوحة ٢١-٢٣ ، شكل ٣٥).

^{٥٩} أري أنه من المستبعد مقارنة هذا التخطيط مع التخطيط العثماني الوافد الذي صمم علي نسقه جامعي: سنان باشا ٩٧٩هـ / ١٥٧١م ، ومحمد بك أبو الذهب ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م بالقاهرة ، والذي يتكون من بيت صلاة مربع يحيط به رواق من ثلاث جهات خلت من جهة القبلة، والذي يعتمد في صميم جوهره علي القبة كعنصر من عناصر التخطيط والتصميم ، في حين اعتمد تخطيط الجوامع موضع البحث علي التخطيط ذي الأروقة وتعليق المسجد.

^{٦٠} سهير جميل: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني ، ص ٧٧-٨٧؛ محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣١٥ - ٣٤٧.

^{٦١} من أمثلة المدارس التي لم يكن فيها إيوان القبلة أكبر الإيوانات : مدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م ، حيث كان الإيوانان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي أكبر من إيوان القبلة .

^{٦٢} تخطيط نادر جداً بين عمارة المدارس في مصر ، اعتمد بصفة أساسية علي التخطيط الإيواني الموروث من العصر المملوكي كنموذج رئيس لها في أداء وظيفتها ، وحتى النماذج القليلة التي صممت علي نسق التخطيط ذي الأروقة حول صحن كانت من أربعة أروقة مثل المدرسة الأقبغاوية الملحقة بالجامع الأزهر ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م ، ومدرسة قانيباي الجركسي ٨٤٥هـ / ١٤٤١م . محمد حمزة: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري، ص ٢٨٣-٢٨٤.

التخطيط العام: عبارة عن مضلع غير منتظم ، به انحراف في الجهة الشمالية الغربية حيث كتلة المدخل الرئيس والدركاه التي تليه والدهليز الموصل للمدرسة من الداخل. التخطيط الداخلي: عبارة عن مستطيل منتظم تميز بالتماثل في عناصر تكوينه من حيث فتحات النوافذ والأبواب وتقسيم القاعات الجانبية، يتكون من صحن مربع أوسط مكشوف مساحته ٨,٠٥ x ٨,٠٤ م^٢، يحيط به إيوانان وسدلتان ، يشرف كل منهما على الصحن بعقد مدبب بني بالطوب ، أما الإيوانان فهما: إيوان القبلة وهو الأكبر، عبارة عن مستطيل أبعاده ٨,٤٥ x ٨,٧٠ م^٢، يقابله الإيوان البحري وهو مستطيل أيضاً أبعاده ٨,١٠ x ٤,٢٢ م^٢، تكتنفه حجرتان مستطيلتان متماثلتان خصصتا لشيوخ المدرسة ، نظمت فيهما العديد من الخزانات الحائطية برسم الكتب والمصاحف ، أما السدلتان فهما متماثلتان في التخطيط ، عبارة عن مربع تقريباً مساحته ٣,٤٨ x ٣,٤٠ م^٢ ، إحداها السدلة الجنوبية الغربية التي تم فصلها عن الإيوانين الرئيسين بدھليز يفضى للميضأة وحجرة مستطيلة صغيرة ، والثانية السدلة الشمالية الشرقية التي عكس فيها المعمار الوضع الإنشائي ، حيث تنفصل عن الدهليز الموصل للصحن من دركاة المدخل وحجرة صغيرة ، نظمت في جداري السدلتين الموازي لجدار القبلة دخلة مستطيلة (شكل ٣٢).

وعند تأصيل هذا التخطيط نجد أنه من أكثر أنواع التخطيطات شيوعاً بين المدارس المملوكية ومن أمثلته: مدرسة قلاوون قبل تغيير معالمها الأصلية ٦٨٣- ٦٨٤هـ/ ١٢٨٤-١٢٨٥م ،مدرسة الأميرمقال ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م، مدرسة برسباي بالنحاسين ٨٢٦-٨٢٩هـ / ١٤٢٢-١٤٢٥م،مدرسة جوهر اللالا ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، المدرسة الجوهريّة الملحقة بالجامع الأزهر قبل ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ، مدرسة تغرى بردى بالكلمشي ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م ، مدرسة حقمق ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ، مدرسة السلطان آينال ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م ، مدرسة قايتباي بالقرافة ٨٧٧-٨٧٩هـ / ١٤٧٢-١٤٧٤م ، مدرسة قايتباي بقلعة الكباش ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م، مدرسة أبو بكر مزهر ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ، مدرسة قايتباي بمنيل الروضة ٨٨٦-٨٩٦هـ/ ١٤٨١-١٤٩٠م، مدرسة أربك اليوسفي ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م، مدرسة قانيباي الرماح أمير آخور بدرب اللبان ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م،مدرسة الغوري ٩٠٩-٩١٠هـ / ١٥٠٣-١٥٠٤م ، مدرسة قانيباي الرماح أمير آخور بالناصرية ٩١١هـ / ١٥٠٥م، مدرسة قرقماس ٩١١- ٩١٣هـ/ ١٥٠٥-١٥٠٧م، مدرسة بيبرس الخياط بحارة الجودية ٩٢١هـ/ ١٥١٥م

١/٢/٣/٢- المدرسة الرضوانية ١٠٢٩هـ/١٦١٩م:

تتكون المدرسة من دورين ، الأرضي ويمثل المدرسة، والعلوي وبه كتاب وقاعة مستطيلة، جاء تخطيط المدرسة بصفة عامة غير منتظم ، عبارة عن صحن أوسط أبعاده $٥,١٠ \times ٤,٨٥$ م^٢ مغطي بقبة ، تحيط به أربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشمالي الغربي وليس إيوان القبلة كالمعتاد ، عبارة عن مستطيل أبعاده ١١,٢٣ $\times ٤,٨٥$ م^٢ ، ينقسم إلي رواقين بواسطة بائكة من عقدين مدبيين اتجاه أرجلها عمودي علي جدار القبلة ، ويشرف علي الصحن بعقد مدبب ، أما إيوان القبلة فتبلغ أبعاده $٦,٥٠ \times ٤,٦٥$ م^٢ تجاوره إلي اليمين حجرة مستطيلة تطل عليه بفتحتين ، أما الإيوان الجنوبي الغربي فتبلغ أبعاده $٥,١٠ \times ٤,٢٠$ م^٢ يطل علي الصحن بعقد مدبب، بينما تبلغ أبعاد الإيوان الشمالي الشرقي $٥,٦٠ \times ٤$ م^٢ (شكل ٣٣) .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده من التخطيطات النادرة بين عمارة المدارس ، خاصة وأن إيوان القبلة ليس أكبر الإيوانات ، ويتشابه مع نموذج واحد من المدارس المملوكية ، يتمثل في مدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، حيث كان فيها الإيوانان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي أكبر من إيوان القبلة.

١/٢/٣/٣- مدرسة أحمد البجم ١٠٣١هـ/١٦٢٢م:

صمم التخطيط علي هيئة مستطيل منتظم، عبارة عن صحن أوسط مستطيل مكشوف أبعاده $١٢,٧٥ \times ١١,٨٠$ م^٢، محاط بثلاثة أروقة وليست إيوانات^{٦٤} ، بينما حُصص لموضع الرواق الشمالي الشرقي قبة الشيخ أحمد البجم ودركة المدخل الرئيس (شكل ٣٥)، وتوزيع الأروقة كالتالي:

١/٢/٣/٣/١- الرواق الجنوبي الشرقي: أكبر الأروقة الثلاثة ويتكون من ثلاث بائكات ، تشتمل على عقود مدببة أرجلها موازية لجدار القبلة ، محمولة على أعمدة متنوعة من الرخام والجرانيت، تشرف على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود أكبرها الأوسط (لوحة ٢١)

١/٢/٣/٣/٢- الرواق الشمالي الغربي: من ثلاث بائكات من عقود مدببة موازية لجدار القبلة ، يشرف على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود، نظمت في جدره خزانات حائطية برسم الكتب والمصاحف، ومجموعة حجرات صغيرة وسلالم توصل لخلوى الطلبة خلف الجدار البحري (لوحة ٢٣).

١/٢/٣/٣/٣- الرواق الجنوبي الغربي: عبارة عن بائكة واحدة تطل على الصحن بعقدين مدبيين اتجاه أرجلها عمودي على جدار القبلة ، وينفصل هذا الرواق عن الرواق البحري بكتلة بنائية عبارة عن قبة ضريحية^{٦٥} ، بينما يتصل برواق القبلة

^{٦٤} تفيد عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية ، ص ٧٩.

^{٦٥} يتشابه في ذلك مع رواق القبلة في خانقاه فرج بن برقوق بقرافة المماليك بالقاهرة ٨٠١-٨١٣هـ/ ١٣٩٩-١٤١١م ، حيث فصل رواق القبلة عن الرواقين الجانبيين بقبتين جانبيتين.

(لوحة ٢٢) ، ويبلغ إجمالي مساحة المدرسة الداخلية: ٣٧١ م^٢، شغل الصحن منها مساحة ٧٧ م^٢ بنسبة ٢٠,٧ % .

وعند تأصيل هذا التخطيط نجده من أنواع التخطيطات النادرة بين عمارة المدارس بصفة عامة ، حيث نال التخطيط الإيواني قصب السبق بين هذه الأنواع ، ومما يجعل هذا التخطيط أكثر ندرة - أن عدد الأروقة حول الصحن - ثلاثة وليست أربعة كما في المدرسة الأقبغاوية ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ، ومدرسة قانيبي الجركسي ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م .

٢/٢/٤ - العلاقة بين نصوص الوقف والتأسيس والتخطيط والوظيفة:-

٢/٢/٤/١ - مدرسة ابن بغداد:

أكد النص التأسيسي^{٦٦} على أن هذه المنشأة - مدرسة ، حيث جاء فيه: " أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة بتاريخ شهر المحرم من أشهر الله الحرام افتتاح سنة سبع وستين وتسع مائة " .

وهو ما يجعل العلاقة بين تخطيطها والنص التأسيسي علاقة توافق تام .

٢/٢/٤/٢ - المدرسة الرضوانية: كانت في الأصل جامع يعرف باسم جامع الأقساموي (قبل سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م) ، ثم قام رضوان بن عبد الله الينكجري بإجراء عمارة شاملة هي ما عليها الآن سنة ١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م^{٦٧}، مسجلاً تلك العمارة في نقش كتابي حجري أطلق فيه مصطلح المسجد بما نصه :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المسجد المبارك

٢ - الحاج رضوان غفر الله له ولمن تردد عليه

٣ - في أوقات الصلوات والناظر إليه بخير

٤ - وإحسان وكان الفراغ في شهر رجب الفرد سنة ١٠٢٩

والمقصود بعبارة "جَدَد هذا المسجد المبارك" - أي المسجد القديم المعروف باسم الأقساموي، بيد أن ما ورد في حجة الوقف الشرعية وعديد من الوثائق العثمانية الخاصة بدمياط يؤكد أن هذه المنشأة بنيت ووقفت كمدرسة^{٦٨}، وهو ما يجعل العلاقة بين تخطيطها من إيوانات حول درقاعة ووظيفتها علاقة توافق تام، وغير توافق مع نصها التأسيسي.

٢/٢/٤/٣ - مدرسة أحمد البجم:

ثُبِتَ في الجدار الجنوبي الغربي للقبة الرئيسية بالمدرسة والمطل علي الصحن نقشاً كتابياً بخط الثلث، يتضمن نصاً تأسيسياً للمدرسة الأصلية مؤرخ بسنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م كما يلي:

^{٦٦} سُجِّلَ هذا النص في أكثر من موضع ، حيث ورد في نادر أسفل السقف الخشبي للدهليز الموصل لصحن المدرسة ، و على حشوه تاريخ بالمنبر الخشبي الخاص بالمدرسة.

تفقيده عبد الجواد: الآثار المعمارية بمحافظة الغربية، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ؛ وليد شحاتة : أساليب التغطية في عمائر وسط الدلتا ، ص ٢٧ .

^{٦٧} محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٣٥ .

^{٦٨} محمد عطا: مدينة دمياط ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٥٣٣ .

١- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا [محمد]

٢- لا إله إلا الله محمد رسول الله امر بإنشاء هذه

٣- المدرسة الفقير^{٦٩} الأجل^{٧٠} ضياء الدين^{٧١} رضوان

٤- بن الشيخ ابي محمد خضير حبسها في حياته على ان

٥- يقرأ فيها العلم وجعل النظر^{٧٢} فيها بعد موته

٦- لولده ولولد ولده الى انقضاء عقبه الى ان يرث

٧- الله (الأ) رض ومن عليها وذلك في ذى الحجة تسع وعشرين وستمائة.

حدد النص التأسيسي وظيفة المنشأة وكونها مدرسة يقرأ فيها العلم، كما حدد أيضاً تاريخ البناء بسنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م في العصر الأيوبي، وهو النص التأسيسي المتبقي من المدرسة الأصلية والتي بنيت في موضعها المدرسة الحالية. ومحاولة إرجاع المدرسة الحالية للعصر الأيوبي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م- أمر غير وارد كلية ، حيث إن المبنى الحالي يرجع إلى العصر العثماني وليس الأيوبي ولا

^{٦٩} الفقير- من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى ، والتي يكثر ورودها في النصوص الجنائزية ، استعمله السلطان نور الدين محمود زنكي و السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي مركباً ، لما عرف عنهما من تقوى وتواضع ، فكان يقال " العبد الفقير إلى رحمة الله " و " العبد الفقير إلى رحمة ربه " ولم يستعمل لقب " الفقير إلى الله " في النقوش المملوكية ضمن ألقاب سلطان قائم ، واستعمل مركباً في العصر العثماني بكثرة ، فقد ورد بصيغ مختلفة منها: " الفقير إليه تعالى " و " الفقير إلى الله " و " الفقير إلى رحمة ربه العلى " و " المفقر إلى رحمة الله تعالى ". مصطفى بركات: مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية ، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٩-٢٣٠.

^{٧٠} من الألقاب الشائعة في العالم الإسلامي ويرجح تطوره من لقب "الجليل"، أطلق في العصور الإسلامية الأولى علي أصحاب النفوذ من رجال الدولة ، أقدم نص معروف لهذا اللقب نص عمارة جامع سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م، وفي نص تأسيسي بكرديستان سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م ، وكان يلحق بالألقاب الوزراء المفوضين ذوي السلطات الواسعة فيقال "الوزير الأجل" ، وأصبح عاماً علي ألقاب الوزراء الفاطميين حتى قدوم بدر الدين الجمالي ، كما أطلق لقب "الشيخ الأجل" علي الوزير نظام الملك في نص تأسيسي بالجامع الأموي بدمشق سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م ، كما كان يمنح لأمرأه الجيوش الذين استأنثروا بالحكم فيقال " السيد الأجل " ، كما أطلق علي رجال القضاء فيقال " القاضي الأجل " كما في نص تأسيسي بالجامع الكبير ب حلب ٣٨٤هـ/٩٩٤م ، أفاض الفلقشندي في الكلام عنه وعن استعمالاته المختلفة في المكاتبات مضافاً إلي لقب الوظيفة مثل: "المجلس" "الأمير" "القاضي" "الشيخ" "الصدر".

حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٢٦-١٣٤.

^{٧١} الضياء: السناء أو النور الوهاج، لقب أضيف إلي بعض الكلمات مثل " الدين " " الملة " و " الإسلام "، وجد لقب ضياء الدين علي بعض نقود السلاطين البحرية وبني بويه في بلاد الفرس. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية ، ص ٣٨١.

^{٧٢} الناظر: من ينظر في الأموال ويتفقد تصرفاتها ويُرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه .

محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٥٠؛ والمقصود في هذا النص: نظارة الوقف ، وناظر الوقف هو المتصرف في أمور الوقف كافة من عمارة و تجديد وبناء ، ومراعاة الوظائف وانتظامها وصرف الرواتب .

المملوكي، نظراً لأنه من المستبعد ظهور تخطيط مدرسة بمثل هذا التخطيط خارج القاهرة في ذلك التاريخ المبكر، يؤيد ذلك الأدلة التالية:

[١] يُرجع النص بناء المدرسة إلى سنة ١٢٢٩هـ/١٢٣١م، حيث امتازت المدارس بندرتها خارج القاهرة في العصر الأيوبي خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري الحادي عشر الميلادي^{٧٣}، وأن تخطيطها لم يتعد صحناً وإيواناً كما في المدرسة الكاملية ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ، والمدارس الصالحية ٦٤٨هـ/١٢٥٠م التي اجتمع فيها لأول مرة في مصر تدريس المذاهب الفقهية الأربعة.

[٢] اعتمدت طرز العمارة الإسلامية في الدلتا على نماذج التخطيط والوحدات والعناصر المعمارية الوافدة من مدينة القاهرة بعد شيوعها وانتشارها في عمارتها الدينية، وعليه فإننا نستبعد ظهور مدرسة بهذا التخطيط وباقية للآن في هذا التاريخ المبكر في الدلتا.

[٣] ظهرت في مدن الدلتا مدارس أقيمت في العصر العثماني خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، كان تخطيطها من إيوانات حول صحن أو دور قاعة، كما في مدرسة ابن بغداد بمحلة مرحوم ٩٦٩هـ/١٥٦١م.

[٤] احتوت مدرسة البجم في وحداتها وعناصرها المعمارية، على نماذج شاعت بين عمائر الدلتا الدينية إبان العصر العثماني مثل: المداخل والواجهات المزينة بمداميك الطوب المنجور، كما احتوت على مقصورة خشبية حول تركيبة ضريح أحمد البجم مؤرخة بسنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م.

[٥] تولت أسرة معماري المدرسة- المعلم يونس البرلسي بناء المدرسة سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، وسجل المعلم يونس توقيعه على جانبي المدخل الرئيس للمدرسة بما نصه: "عمل المعلم يونس ابن المعلم عبد العزيز البرلسي"، كما سجل ابنه أيضاً توقيعه في نص بقبة البجم على مداميك الطوب المنجور أعلى الشباك الجنوبي الغربي المطل على الصحن بما نصه:

٧٤

" الله لطيف بعباده عمل الفقير فرحات يونس "

مما تقدم نخلص إلى أن المدرسة الحالية ترجع للعصر العثماني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، أما النص التأسيسي المثبت في جدارها المطل على الصحن فهو

^{٧٣} من أمثلة هذه المدارس: المدرسة الشريفة ٦١٢هـ/١٢١٥م التي بناها الأمير فخر الدين أبو نصر إسماعيل الجعفري الزيني، والمدرسة الفخرية ٦٢٢هـ/١٢٢٥م التي بناها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان استادار الملك الكامل، والمدرسة الصيرمية ٦٣٦هـ/١٢٣٨م التي بناها الأمير فخر الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل، والمدرسة الفائزية ٦٣٦هـ/١٢٣٨م أنشأها صاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، والمدرسة الصاحبية ٦٥٤هـ/١٢٥٦م التي أنشأها الوزير بهاء الدين علي بن محمد وكانت من أروع المدارس .

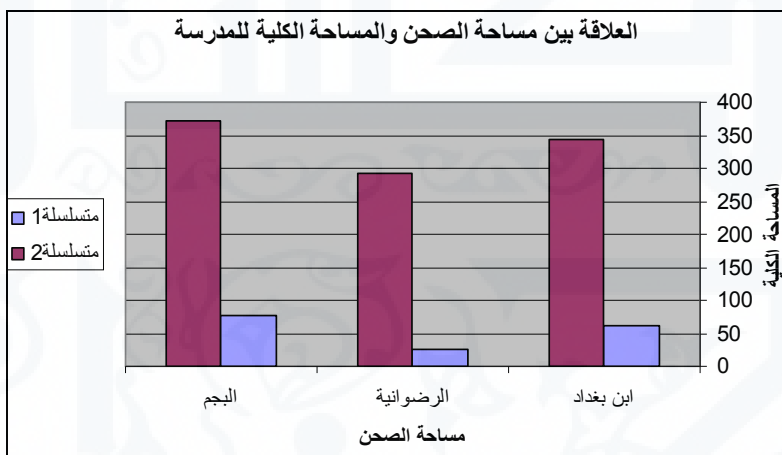
أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الأيوبي، ص ٤٩-٥٦؛ غفاف سيد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٥١، ص ١٥١-١٦٤.
^{٧٤} حسن عبد الوهاب: توقيعات الصانع على آثار مصر الإسلامية، ص ٥٥٣.

من مخلفات المدرسة الأصلية والتي احتفظت به من العصر الأيوبي ، وتم تثبيتته في جدار القبة المطل على الصحن إلى الآن، وهو ما يجعل العلاقة بين التخطيط والنص التأسيسي في هذه المدرسة علاقة غير متوافقة تاريخياً ووظيفياً خاصة في غياب حجة الوقف الأصلية.

٢/٢/٥- العلاقة بين التخطيط الداخلي والصحن:

يمكن بيان هذه العلاقة من خلال الجدول والعلاقة التالية :

م	المدرسة	إجمالي المساحة الداخلية	مساحة الصحن	نسبة الصحن من المساحة
١	ابن بغداد	٣٤٤ م ^٢	٦٢,٣٧ م ^٢	١٨,١٣ %
٢	الرضوانية	٢٩٣,٠٣ م ^٢	٢٤,٧٣ م ^٢	٨,٤٣ %
٣	البجم	٣٧١ م ^٢	٧٧ م ^٢	٢٠,٧ %



ويلاحظ من خلال هذه العلاقة ما يلي:

- ٢/٢/٥/١- يوجد تناسب طردي بين المساحة الداخلية للمدرسة والمساحة التي يشغلها الصحن أو الدرقاعة ، وهو أمر طبيعي يحقق وظيفة الصحن كما ذكرنا سالفاً.
 - ٢/٢/٥/٢- تمثلت أكبر مساحة للصحن في مدرسة البجم نظراً لكبر مساحتها الكلية.
 - ٢/٢/٥/٣- تمثلت أصغر مساحة للصحن في المدرسة الرضوانية.
- وعند تأصيل هذا التخطيط نجده من التخطيطات النادرة بين المدارس المملوكية خاصة وأن إيوان القبلة ليس أكبر الإيوانات ، ويتشابه مع نموذج واحد يتمثل في مدرسة خاير بك بباب الوزير ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢ م.

٢/٣- الزوايا:-

بقيت بمدن الدلتا زاوية^{٧٥} واحدة فقط وهي زاوية الأمير حماد ١٠٢٤هـ/١٦١٥م بمدينة ميت غمر^{٧٦} محافظة الدقهلية^{٧٧}، من إنشاء الأمير حماد مقلد البقري، أطلقت عليها الوثائق مصطلح "الزاوية المعلقة"، حيث ورد في وثيقة أوقاف الأمير حماد بن مقلد ما نصه "... في وظيفتي النظر والتحدث على المسجد الكبير الكاين بناحية ديرب نجم والزاوية المعلقة الكاينة بناحية ميت غمر انشا المرحوم الامير حماد مقلد البقري المذكور المعمورين بذكر الله تعالى لينظر كل منهم في مصالح المسجد والزاوية كلها وتعلقاتهم باثرها من عمارة وترميم وملء ماء وكنس وفرش وامامة وخطابة واذان و وقادة وتلاوة قرآن وما يتكلف بهما من الشعاير الاسلامية..."^{٧٨}.

٢/٣/١- التخطيط :-

التخطيط العام للزاوية عبارة عن مستطيل أبعاده ٣١,٦٥ x ١٤,٥٠ م^٢، ونظراً لأنها معلقة كما نصت الوثيقة فهي مكونة من طابقين، يتكون الطابق الأرضي من مجموعة مرافق تشتمل على ميضأة ومطهرة في الجهة البحرية، وحجرتين لاستقبال الزائرين

^{٧٥} لم يستعمل مصطلح "خانقاه" كمسمي لمنشآت التصوف بين عمائر الدلتا في المصادر التاريخية، حيث استخدم مصطلح "زاوية" للتعبير عن نوعية تلك المنشآت، انظر من بين هذه المصادر: ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، ج٦، ص٢٤٣، ٢٤٤، ج٨، ص٥١؛ أبو الحسين محمد ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، ص١٥-١٨؛ أبو الفلاح ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص٢٥، ٢٦، ٢٦٥، ٢٦٦؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٥٧-١٦١؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، ص١٩٢-٢٠١؛ شمس الدين محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٢، ص٤٥، ٤٦، ١٦١، ١٦٢، ٢٣٩، ٢٤٠، ج٨، ص٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٨، ج٩، ص١٧٧، ج١١، ص٦٤، ٦٥؛ عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٨٨-١٢١؛ علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج١٢، ص٤٧، ج١٤، ص٨٢، ج١٥، ص١٨-٢٥، ج١٦، ص٧٩؛ محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع لأهل القرن التاسع، ج٢، ص٢٣٣؛ محمد المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص١٦٦.

76) Comité de Conservation des Monuments de L' Art Arabe, Exercice 1936-1940, Le Caire 1944, p.235.

^{٧٧} أنشئت بمدن الدلتا وقراها إلى جانب هذه الزاوية - عديد من الزوايا اندثر معظمها، كان من بينها: زاوية السادة الطرابانية بالمحلة الكبرى ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، زاوية الديروطي بدمياط ٩٢١هـ/١٥١٥م، زاوية الشيخ محمد الشناوى ببلدة محلة روح ٩٣٢هـ/١٥٢٥م، زاوية أبي العباس الحريثي بدمياط ٩٤١هـ/١٥٣٤م، زاوية الشيخ سطيحة بشبرا قباله بالمنوفية ٩٤٢هـ/١٥٢١م، زاوية الشيخ المنزلاوى بالمنزلة، زاوية الشيخ الموفي السندوبى بالمنصورة.

ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٤، ١٢٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص١٧٧؛ النجم الغزى: الكواكب السائرة، ج٢، ص٢٥٤؛ عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٨٨ - ١٢١، ١٠١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٥، ص٩٠؛ دار الوثائق القومية: وثيقة رقم ٧٩٣ أوقاف، محكمة المحلة، سطر ٦٨.

^{٧٨} دار الوثائق القومية: محكمة ميت غمر، سجل ١٤، ص٣٩، سطور ٦ - ٨.

والرواد ^{٧٩} ، يسقفهما قبو متقاطع ، وسلمين صاعدين للطابق الثاني في الجهتين: الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية ، وسباط مقبى بقبو طولي يمر المارة من أسفل من الجهتين الغربية والشرقية (لوحة ١٠ ، شكل ٣٦) ، أما الطابق الثاني فعبارة عن مستطيل أبعاده ٢٩ x ١٢ م^٢ ، جاء تصميمه على هيئة المدارس ذات الإيوانات ، يشتمل على درقاعة وسطى مغطاة بسقف خشبي من براطيم أبعادها ٦،٦٠ x ٦،١٠ م^٢ وإيوانين هما: الإيوان الجنوبي الشرقي وهو الأكبر ، والإيوان الشمالي الغربي ، أما الجهتان الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية فبنيت فيهما كتلة السلم الصاعد من الدور الأرضي ، وبكل منهما باب الدخول للطابق الثاني (شكل ٣٧).

وعلى الرغم من إنها زاوية إلا أنها احتوت على منبر ومئذنة مؤرخة بسنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦ م^{٨٠} ، حيث أدت وظيفة المسجد الجامع كما نصت الوثيقة . وعند تأصيل هذا التخطيط نجده يتفق مع زاوية الشيخ ضرغام أوائل القرن ١٠ هـ / ١٦ م^{٨١} ، كما ظهر في عمارة المدارس المملوكية ، حيث صممت علي نسقه عدة مدارس هي: مدرسة أبنال اليوسفي ٧٩٤ - ٧٩٠ هـ / ١٣٩١ - ١٣٩٢ م ، مدرسة جمال الدين محمود الاستادار ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م ، مدرسة قانيباي المحمدي ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م ، مدرسة السويدي ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م ، مدرسة الجمالي يوسف ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م ، مدرسة جانم البهلوان ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م^{٨٢} .
وببلغ إجمالي مساحة الزاوية: ٣٤٨ م^٢ ، شغلت الدرقاعة منها مساحة ٤٠،٢٦ م^٢ ، بنسبة ١١،٥٧ % ، وهي مثال نادر للزوايا العثمانية في مصر بصفة عامة والدلتا بصفة خاصة.

^{٧٩} من وظائف شيخ الزاوية : تهيئة الطعام للواردين والمجتازين ومؤانستهم إذا قدموا للزاوية ، بحيث تزول خجلة الغربة عنهم ، وإفراد مكان للوارد لئلا يستحى وقت أكله وراحته .
تاج الدين عبد الوهاب السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق : محمد علي النجار وآخرون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ م ، ص ١٢٦ .
^{٨٠} احتوت المئذنة علي نص تأسيسي يحمل توقيع الأمر ببنائها بما نصه " بسم الله الرحمن الرحيم/أنشأ هذا المئذنة /الأمير قنديل/في شهر رجب سنة ١٠٩٨ " أي بعد بناء الزاوية بأربع وسبعين سنة .

مجدي علوان : مآذن العصرين المملوكي والعثماني ، ص ١٧٦ - ١٧٨ .
^{٨١} محمد أبو العمايم : آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ، ص ١١٩ .
^{٨٢} محمد حمزة : عمائر القاهرة الدينية في العصر العثماني ، ص ١٣٨ .

الخاتمة وأهم النتائج :

تناول البحث دراسة تخطيط العماثر الدينية بالباقية من العصرين المملوكي والعثماني بمدن الدلتا وقراها ، وبلغ عدد العماثر التي تمت دراستها أربعون أثراً متنوعة الوظائف ، بنسبة ١٧,٥% من العصر المملوكي : ٨٢,٥% من العصر العثماني .

واعتمدت محاور الدراسة علي عدة جوانب يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً :- أهمية التخطيط المعماري للمنشأة الدينية باعتباره محور البناء والتشييد .

ثانياً:- عدم فصل التخطيط عن الوحدات والعناصر المعمارية الأخرى بالمبني ، فعلي أساس التخطيط تتضح ملامح التشكيل المعماري ، حيث توضع البائكات ، وتُنظَّم الأروقة والإيوانات ، وتخصص مواقع المآذن والقباب والملحقات المعمارية الأخرى. ثالثاً:- ارتباط التخطيط بمواد البناء المستخدمة بين عماثر الدلتا المختلفة ، والتي اعتمدت بصفة أساسية علي عناصر البيئة المحلية المتاحة.

ومن خلال التخطيط المقارن للعماثر موضع البحث تم الوصول إلي النتائج التالية:

١- أثبت البحث اعتماد تخطيط عماثر مدن الدلتا الدينية وقراها بصفة أساسية علي طرز التخطيط المحلية الوافدة إليها من مدينة القاهرة ، والتي انتشر فيها التخطيط المصري المحلي الذي شيدت علي نسقه عماثرها إبان العصرين المملوكي والعثماني، فضلاً عن عدم تأثر عماثر الدلتا بالطراز العثماني الوافد علي مصر^{٨٣}، وذلك علي النحو التالي:

^{٨٣} استندت الفكرة التصميمية الأساسية لهذا الطراز علي مركزية بيت الصلاة ، ووجود رواق حوله أو خلفه ، ومراعاة التماثل والاتزان بالمسقط الأفقي والتشكيل المعماري، ويمكننا تقسيم هذا الطراز لثلاثة أنواع كما يلي:

١- عبارة عن مسجد مكون من بيت للصلاة - مربع أو على شكل حرف (T) مقلوب - وخلفه حرم عبارة عن صحن مربع مكشوف يحيط به رواق ، يتصدر بيت الصلاة محراب ومنبر ، تغطي قبة مركزية تركز علي مثلثات كروية بالأركان وتحيط به أنصاف قباب أو قباب ضحلة صغيرة ، و الرواق المحيط بالصحن عبارة عن بائكة بعقود مدببة ويغطي الرواق قباب ضحلة ماعدا المربعات التي تتقدم المداخل فتغطي أحياناً بأقبية متقاطعة ، وللمسجد منذنة بقاعدة مربعة صغيرة ودورة مرتفعة متعددة الأضلاع بها شرفة أذان أو شرفتين ولها قمة مخروطية مسلوقة ، ويوجد باب للمسجد يفتح علي الحرم ، في حين يوجد للحرم ثلاثة أبواب ، وتؤدي المداخل مباشرة لداخل المسجد أو الحرم ولم تعمل كمداخل منكسرة ، ويسقف فتحات الأبواب عقود موتورة تختلف عن العقود المستقيمة التي تعلو النوافذ ، وكانت المطهرة خارج كتلة المسجد ومن أمثلة هذا النمط " جامع سليمان باشا الخادم (سارية الجبل) بالقلعة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م ، وجامع الملكة صفية بالدواية ١٠١٩هـ/١٦١٠م .

٢- عبارة عن بيت صلاة مربع يحيط به رواق من ثلاث جهات ما عدا جدار القبلة ، ويغطي بيت الصلاة قبة كبيرة تركز علي مثلثات كروية بالأركان، والأروقة مغطاة بقباب ضحلة، وللمسجد ثلاثة مداخل يقابلها ثلاثة مداخل بالأروقة المحيطة، وأكدت المداخل بخفض الأرضية المقابلة لها بالرواق .

ومن أمثلة هذا النمط " مسجد سنان باشا ببولاق أبي العلا ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، ومسجد محمد بك أبو الذهب تجاه الجامع الأزهر ١١٨٦هـ/١٧٧٢م .

١/١- التخطيط ذو الأروقة حول صحن أو درقاعة:

يمثل هذا التخطيط - التخطيط التقليدي العتيق (الكلاسيكي) لعمارة الجوامع في مصر وبلدان العالم الإسلامي ، وهو عبارة عن صحن أوسط محاط بأروقة تنتظم في بانكات ذات عقود مدببة تتكئ على أعمدة ودعامات يسير اتجاه أرجلها مواز لجدار القبلة أو عمودي عليه، تمثل ذلك في البحث في جميع الجوامع المملوكية وجامع واحد فقط يرجع للعصر العثماني علي النحو التالي: جامع أبو المعاطي بدمياط أقدم الجوامع الباقية بالدلتا، جامع المتولي بالمحلة الكبرى، جامع المتولي بقرية أبو صير مركز سمندود، وجامع زغلول أو الرويعي بشقيه المملوكي والعثماني، جامع المحلي، جامع الجندي.

١/٢- التخطيط ذو الإيوانات حول صحن أوسط مغطي أو مكشوف:

يمثل التخطيط النموذجي الأكثر شيوعاً في عمارة المدارس المملوكية في مصر، تمثل ذلك في المدرسة المعينية بدمياط أقدم مدرسة باقية بالدلتا (أربعة إيوانات)، و مدرسة ابن بغداد بمحلة مرحوم (إيوانان وسدلتان)، والمدرسة الرضوانية بدمياط

٣- حُصص هذا النوع لتخطيط المدارس في العصر العثماني ، والتي لم يتبق منها سوى مدرستين هما: المدرسة السليمانية بالسروجية ١٥٤٣هـ/ ١٩٥٠م ، و مدرسة السلطان محمود أو المحمودية بشارع بورسعيد ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م ، و يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة ، تقع خلفها غرف أو قاعات الدرس ، ويشرف الرواق على الصحن من خلال بانكة من عقود نصف دائرية تتكئ على أعمدة رخامية، ويتوسط الظلة الجنوبية الشرقية مسجد صغير بصدرة محراب، وملحق بالمدرسة جزء للخدمات والمرافق ، ويلاحظ أن المسجد أصبح منفصلاً وجزءاً من مكونات المدرسة بعد أن كان يمثل الجسم الأساسي الذي يحتوي المدرسة وتنتظم حوله العناصر الثانوية .

عن هذا التخطيط : أصوله وأنواعه ، وعن طرز العمارة العثمانية في مصر انظر:

أوقطاي أصلان أبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة: أحمد محمد عيسى ، طبع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول ، ص ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ - ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية، ج١ ، ١٩٤٦م ؛ سعد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج٥ ؛ سوسن سليمان: عمائر المرأة في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م ؛ علي المليجي : الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧م؛ محمد أبو العمايم: آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني ؛ محمد حمزة الحداد: الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ؛ محمد مصطفى نجيب: العمارة في العصر العثماني، بحث في كتاب القاهرة، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠م؛

مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية : أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة ، طبع منظمة العواصم والمدن الإسلامية - السعودية ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ؛ هدايت تيمور: جامع الملكة صفية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م.

Goodwin. (G.) *A history of Ottoman Architecture*, London, 1971, pp.96-101, pp.168-173.

Ünsal. (B.) *Turkish Islamic Architecture in Seljuk and Ottoman times*, London 1959, pp.24-30.

(أربعة إيوانات)، كما صممت علي نسقه الزاوية الوحيد المتبقية بالدلتا وهي زاوية الأمير حماد البكري بميت غمر (إيوانان).

١/٣- التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة:

احتل هذا النوع من التخطيط - الصدارة بين أنواع تخطيط الجوامع العثمانية الباقية بالدلتا وكان النوع الأكثر شيوعاً بينها ، بغض النظر عن عدد الأروقة .

١/٤- التخطيط ذو الأروقة دون الصحن أو الدرقاعة محاطة بخرجات:

تمثل هذا التخطيط في ثلاثة جوامع معلقة وهي: جامع دومقسييس برشيد ، وجامعي: إبراهيم تربانة وعبد الباقي جوربجي بالإسكندرية ، حيث أحيط المسجد (إيوان الجامع) الذي خصص له الدور الثاني بخرجات أو سقائف خارجية من الخشب.

١/٥- التخطيط ذو ثلاثة أروقة حول صحن مكشوف:

من التخطيطات النادرة بين عمارة المدارس وينحصر في مدرسة أحمد البجم من العصر العثماني.

٢- الوقوف علي التاريخ الصحيح لعدد من العماير كما يلي:

٢/١- جامع أبو المعاطي بدمياط :أقدم الجوامع الباقية بالدلتا ، وترجع أصوله المعمارية للعصر الفاطمي ، ترجع عمارته الحالية لعصر المماليك البحرية سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م .

٢/٢- جامع زغلول أوالرويحي(القسم المملوكي)تم تأريخه قياساً علي جامع أبو المعاطي من خلال: تخطيطه و وحداته وعناصره المعمارية وما تبقي به من شواهد أثرية - إلي سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م.

٢/٣- بناء علي اتجاه القبلة ووضع كتلة المحراب والعلاقة بين الصحن والمساحة الكلية للجامع - تم إرجاع العمارة الحالية وتخطيط جامع المحلي برشيد إلي العصر المملوكي ، علي الرغم من وجود مئذنة وقبة ضريحية وأشغال خشبية متنوعة ترجع للعصر العثماني.

٢/٤- تأريخ مدرسة البجم بسنة ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م ، علي الرغم من احتوائها علي نص تأسيسي من العصر الأيوبي مؤرخ بسنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م.

٣- وضع كتلة المحراب بالنسبة للتخطيط العام للعماير:

٣/١- انتظمت كتلة المحراب في معظم العماير موضع البحث في منتصف جدار طويل مستقيم يمثل جدار القبلة ، باستثناء ثلاثة جوامع مملوكية هي : جامع أبو المعاطي وجامع زغلول المملوكي وجامع المحلي ، حيث مالت كتلة المحراب عن الأضلاع المستقيمة للضلعين الجنوبي والشرقي بزاوية مقدارها ١٢٠°، ويرجع ذلك لضبط اتجاه القبلة في المدينتين الساحليتين : رشيد ودمياط ، ومثلت هذه الجوامع الثلاثة أقدم الجوامع بالمدينتين بصفة خاصة والدلتا بصفة عامة.

٣/٢- تقع حنية المحراب علي محور أفقي واحد مع المئذنة في جامعي : الجندي و دومقسييس.

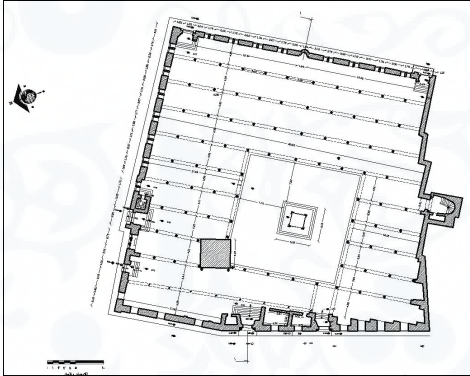
٣/٣- تقع حنية المحراب علي محور أفقي واحد مع المدخل الرئيس في جامع المشيد بالنور برشيد .

١/٤- علاقة الصحن بالتخطيط:

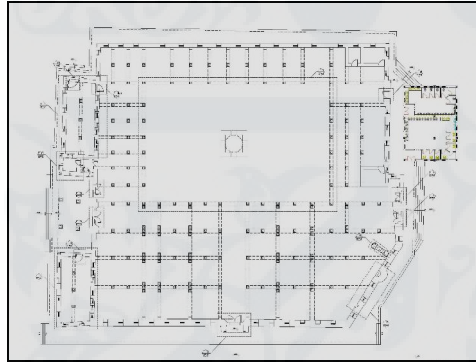
تبين من دراسة تخطيط العمائر ذات الأروقة أو الإيوانات حول صحن أو درقاعة ، ومن خلال العلاقة بين المساحة الداخلية والمساحة المخصصة للصحن أو الدرقاعة - مدى الارتباط بين المساحتين في علاقة طردية ، باستثناء جامع المحلي برشيد والذي كانت علاقته مغايرة كليةً ، نظراً لعمل توسعات لاحقة للبيئات والأروقة علي حساب الصحن مع مراعاة عدم تغير ملامح التخطيط المملوكي الأصلي.

وفي الختام تجدر الإشارة إلي وجود عمائر خارج مدينة القاهرة علي قدر عالٍ من الثراء المعماري والأهمية الأثرية ، لعل أروعها المدرسة المعينية بدمياط ومدرسة ابن بغداد ومدرسة البجم بأبيار والزاوية المغلفة بميت غمر، فضلاً عن الجوامع المملوكية كبيرة المساحة مثل: جامع أبو المعاطي بدمياط ، وجامعي: المحلي و زغلول برشيد ، وجامع المتولي بالمحلة ، ولعل ذلك يؤكد لنا المقولة الشهيرة التي ذكرها الآثاري حسن عبد الوهاب في جولته في الدلتا أثناء إعداده لبحث طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر، حيث قال: " يوجد بالنهر ما لا يوجد بالبحر" ، ويقصد بالبحر مدينة القاهرة بطرزها المعمارية وأثارها المتنوعة عبر العصور.

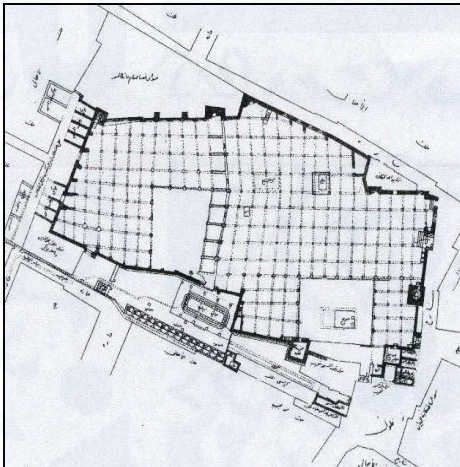
الأشكال واللوحات



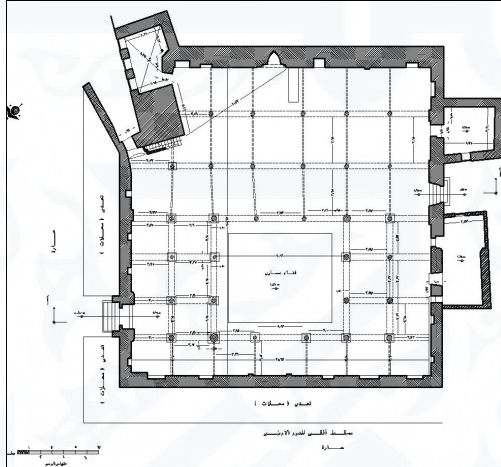
(شكل ٢) جامع المتولي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي بعد الترميم الحديث (شكل ٢) جامع المتولي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي
سنة ٢٠١١ م
(عن المجلس الأعلى للآثار)



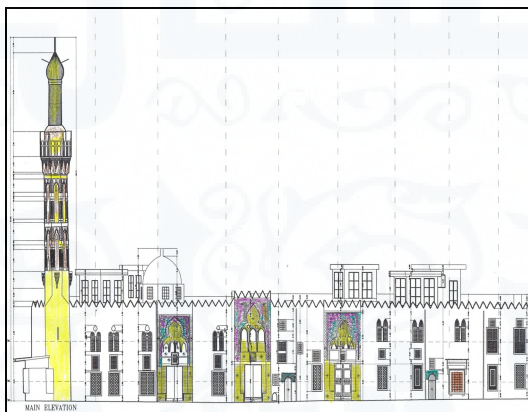
(شكل ١) جامع أبو المعاطي بدمياط: المسقط الأفقي بعد الترميم الحديث (شكل ١) جامع أبو المعاطي بدمياط: المسقط الأفقي
سنة ٢٠١١ م
(عن المجلس الأعلى للآثار)



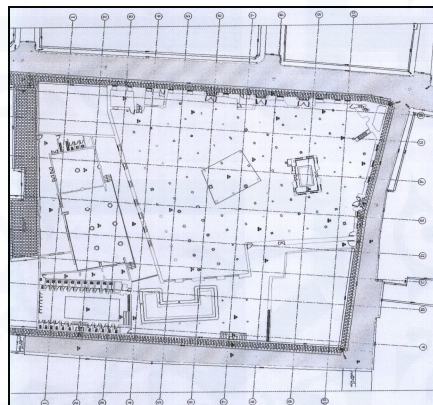
(شكل ٤) جامع زغلول رشيد: المسقط الأفقي (عن هيئة الآثار المصرية)



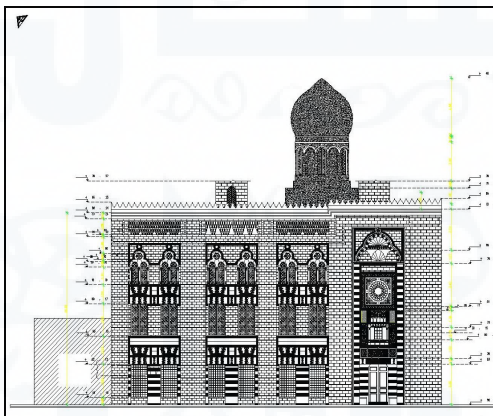
(شكل ٣) جامع المتولي بأبوصير- سمند: المسقط الأفقي (عن المجلس الأعلى للآثار)



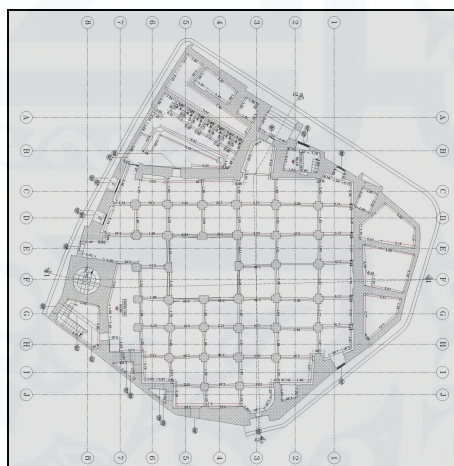
(شكل ٦) جامع المحلى برشيد: قطاع رأسي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



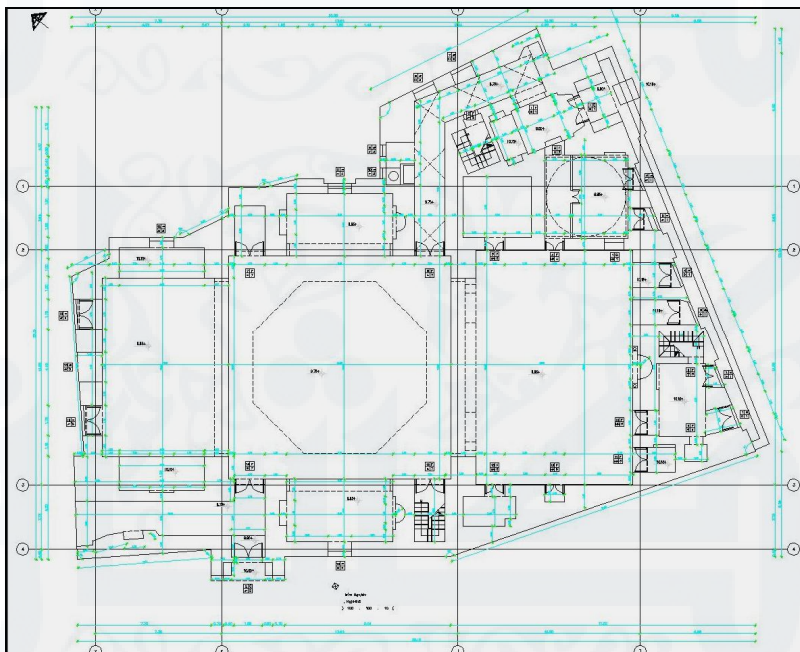
(شكل ٥) جامع المحلى برشيد: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



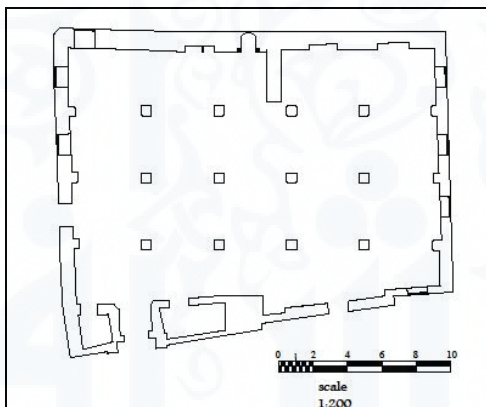
(شكل ٨) المدرسة المعينية بدمياط: قطاع رأسي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٧) جامع الجندي برشيد: المسقط الأفقي
للوأجهة الحجرية
(عن المجلس الأعلى للآثار)

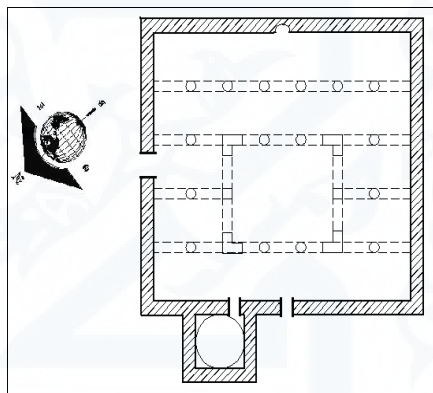


(شكل ٩) المدرسة المعينية بدمياط: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

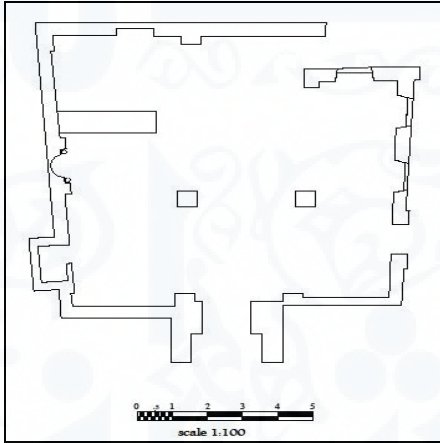


(شكل ١١) جامع عطاء الله السكندري بالمحلة المسقط الأفقي

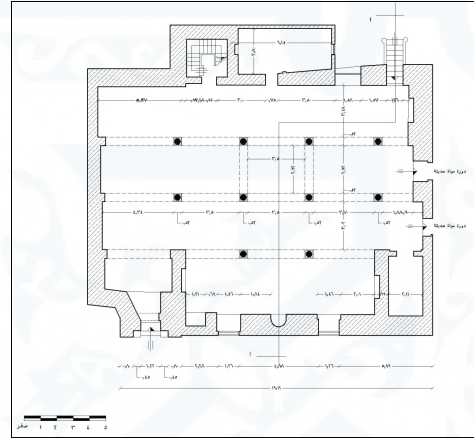
(عمل الباحث - ينشر لأول مرة)



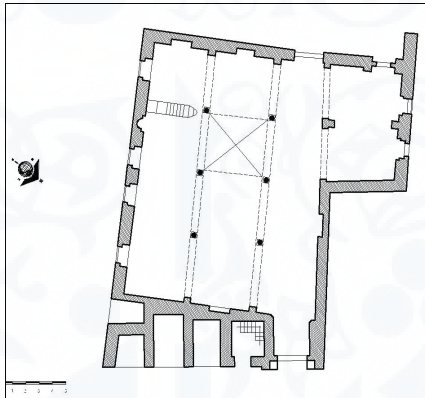
(شكل ١٠) الجامع العمري (البرلسي) بفوه :
المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



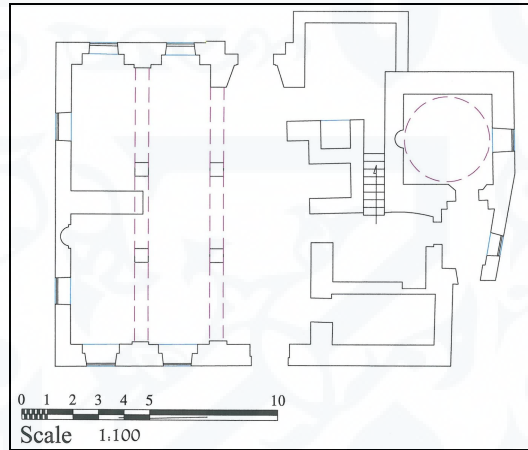
(شكل ١٣) جامع الشريف المغربي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي
(عمل الباحث- ينشر لأول مرة)



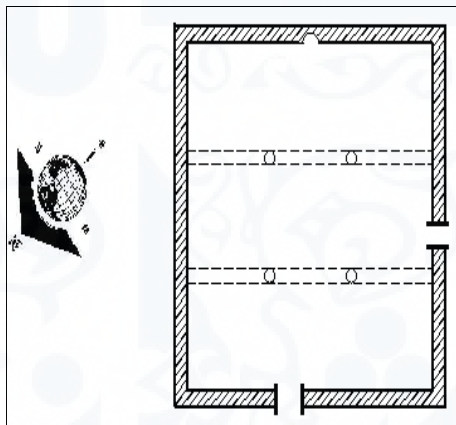
(شكل ١٢) جامع عبد الله عاصي بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



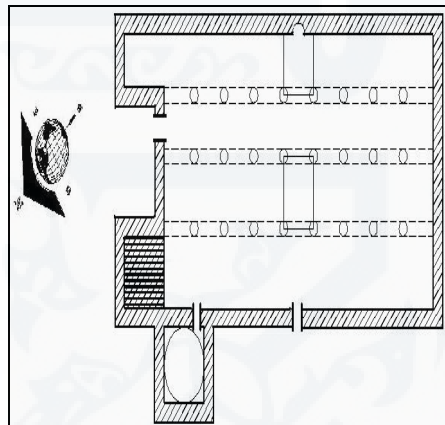
(شكل ١٥) جامع القاضي حسين بسمنود:
(عن المجلس الأعلى للآثار)



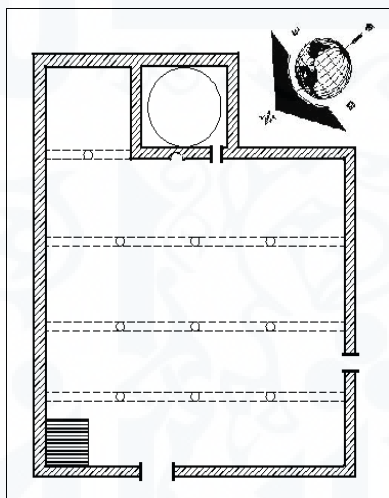
(شكل ١٤) جامع الكاشف بالمحلة الكبرى: المسقط الأفقي
(عمل الباحث- ينشر لأول مرة)



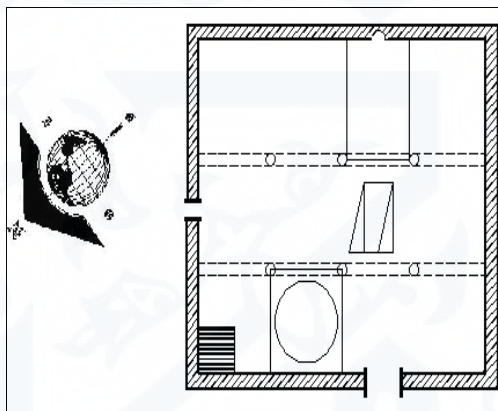
(شكل ١٧) جامع شعبان بفوه : المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



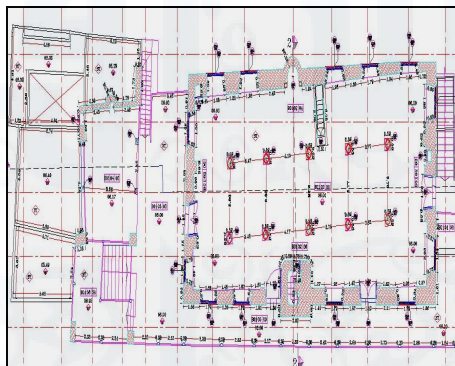
(شكل ١٦) جامع عبد الرحيم القناني بفوه: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



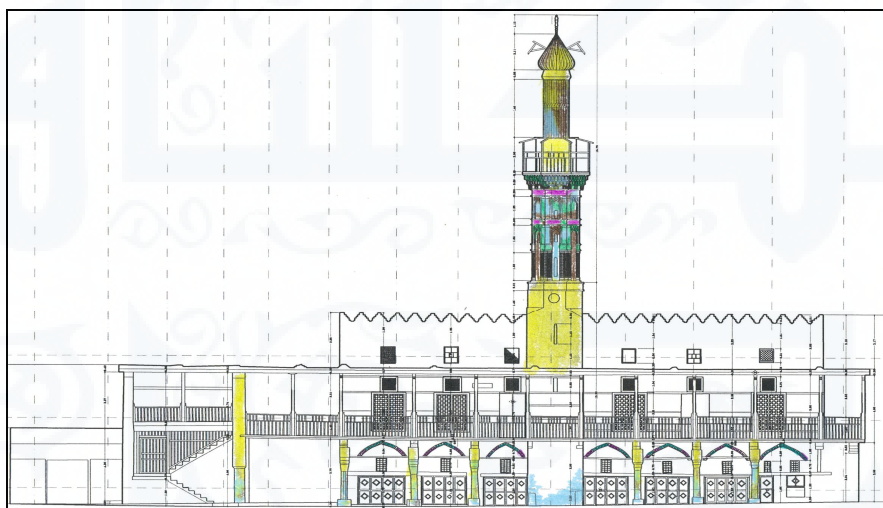
(شكل ١٩) جامع النميري بفوه: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



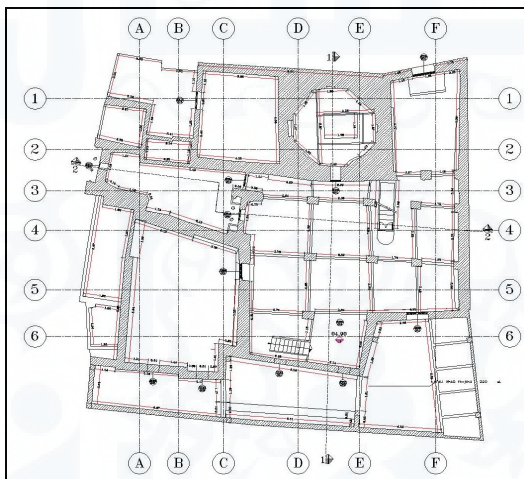
(شكل ١٨) جامع داعي الدار بفوه: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



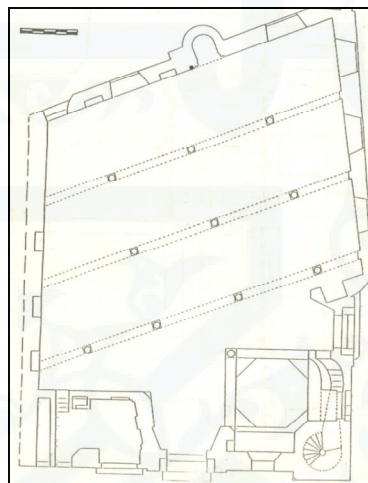
(شكل ٢٠) جامع دومقسيـس برشيد: المسقط الأفقي للدور الأرضي (شكل ٢١) جامع دومقسيـس برشيد- المسقط الأفقي للدور العلوي
(عن المجلس الأعلى للآثار) (عن المجلس الأعلى للآثار)



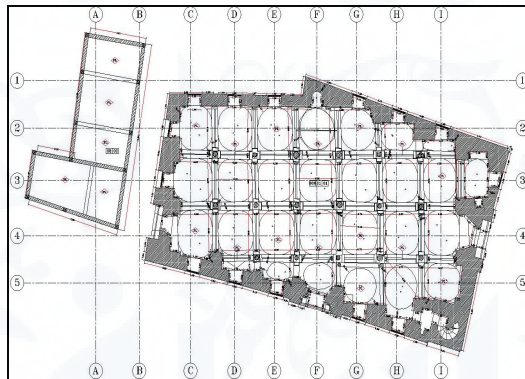
(شكل ٢٢) جامع دومقسيـس - رشيد- قطاع رأسي (عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٢٤) جامع الصامت برشيد- المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٢٣) جامع التقي برشيد- المسقط الأفقي
(عن محمود درويش)



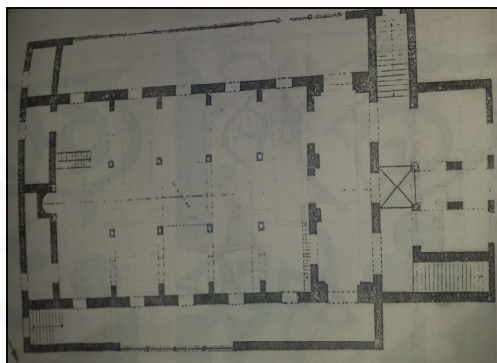
(شكل ٢٦) جامع المشيد بالنور برشيد: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



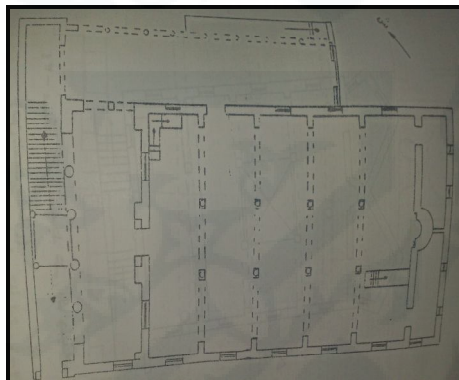
(شكل ٢٥) جامع العرابي برشيد: المسقط الأفقي
(عن محمود درويش)



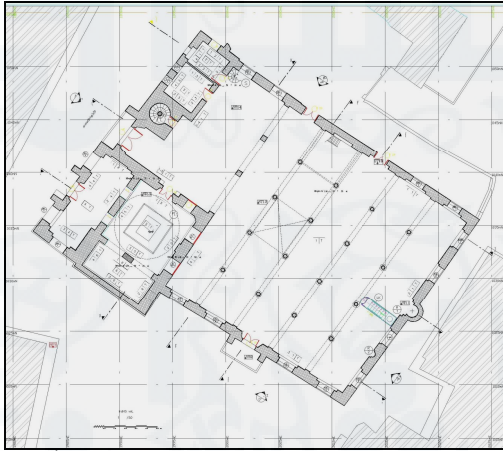
(شكل ٢٧) جامع المشيد بالنور برشيد- قطاع رأسي (عن المجلس الأعلى للآثار)



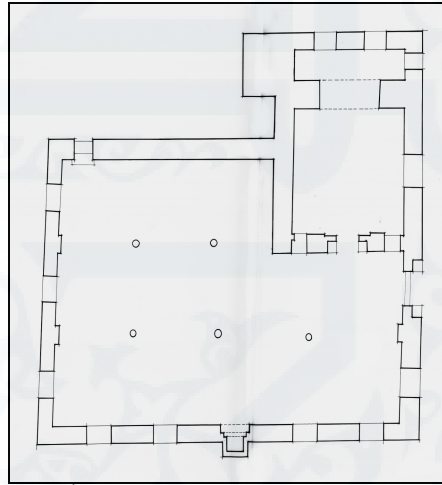
(شكل ٢٩) جامع عبد الباقي جورجي بالإسكندرية
- المسقط الأفقي
(عن محمد حمزة)



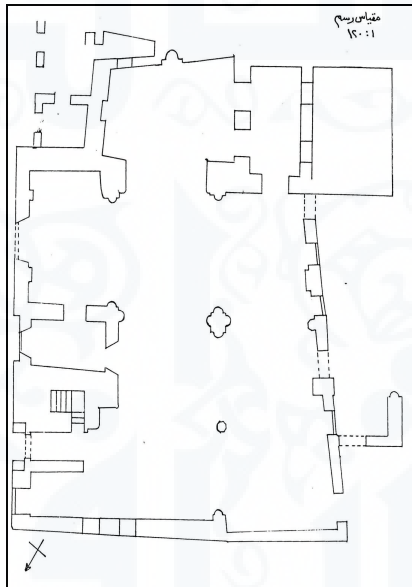
(شكل ٢٨) جامع إبراهيم تربيته بالإسكندرية - المسقط الأفقي
(عن محمد حمزة)



(شكل ٣١) جامع الحديدي بفارسكور : المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٣٠) جامع العباسي برشيد- المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)

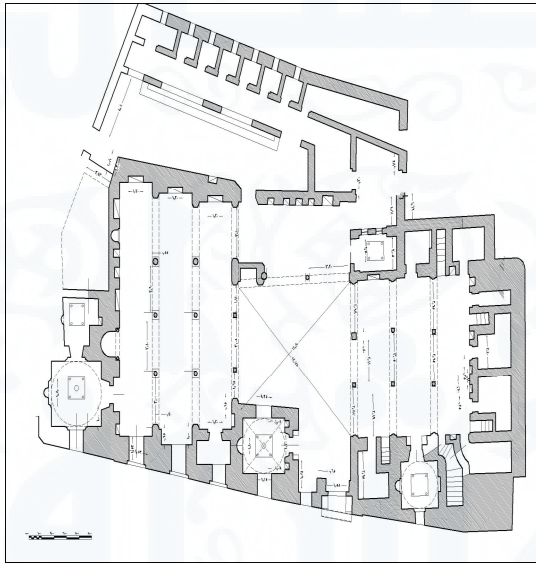


(شكل ٣٣) المدرسة الرضوانية بدمياط : المسقط

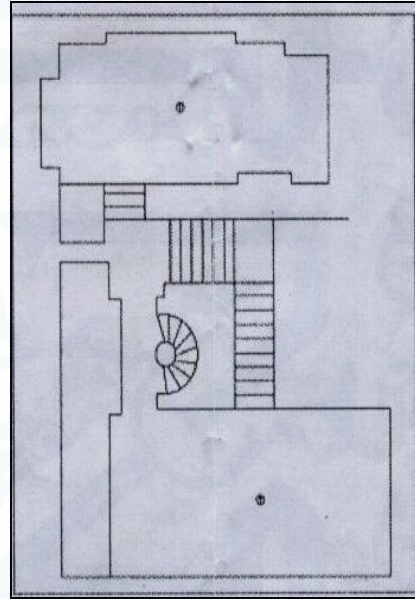
(عن محمد عطا)



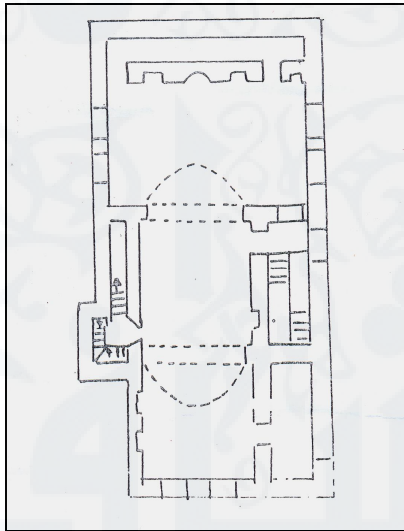
(شكل ٣٢) مدرسة ابن بغداد بمحلة مرحوم: المسقط الأفقي
الأفقي للدور الأرضي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



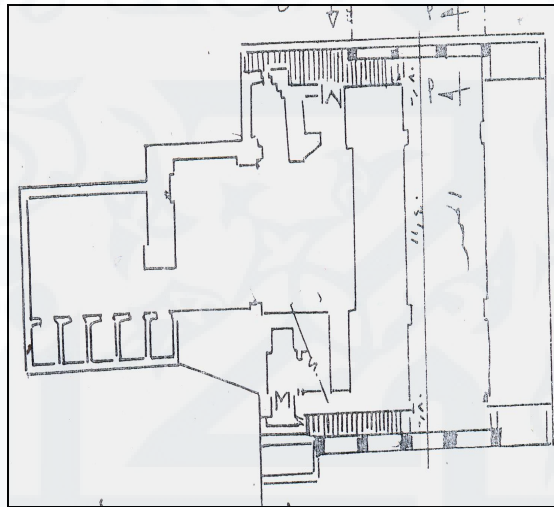
(شكل ٣٥) مدرسة البجم بأبيار: المسقط الأفقي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٣٤) المدرسة الرضوانية بدمياط : قطاع أفقي للدور العلوي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٣٧) زاوية الأمير حماد -
المسقط الأفقي للدور العلوي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(شكل ٣٦) زاوية الأمير حماد بميت غمر:
المسقط الأفقي للدور الأرضي
(عن المجلس الأعلى للآثار)



(لوحة ٢) جامع أبو المعاطي بدمياط : الصحن والأروقة
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)



(لوحة ١) جامع أبي المعاطي بدمياط : الواجهة الجنوبية
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)



(لوحة ٤) جامع المتولى بأبوصير سمنود: الصحن والأروقة



(لوحة ٣) جامع أبو المعاطي بدمياط -
الوضع المعماري قبل الترميم الحديث



(لوحة ٦) جامع زغول برشيد: القسمين المملوكي والعثماني



(لوحة ٥) جامع زغول برشيد: القسم المملوكي



(لوحة ٨) جامع الجندي برشيد: الأروقة والصحن



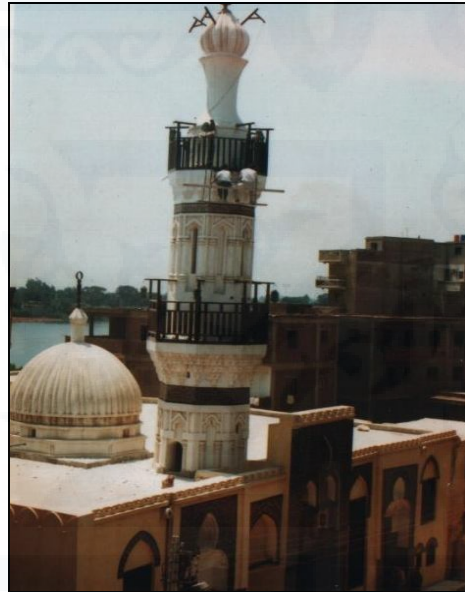
(لوحة ٧) جامع المحلى برشيد: الأروقة



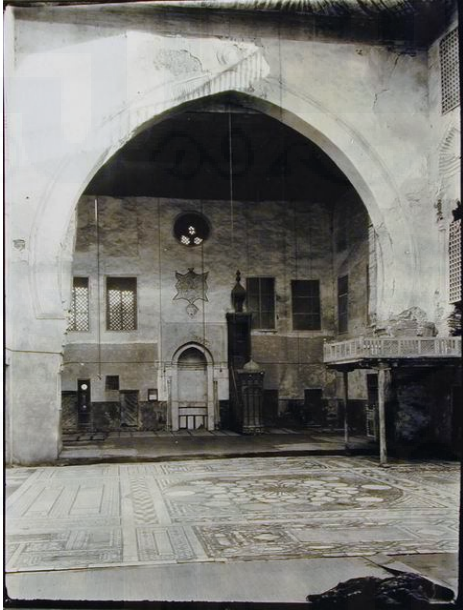
(لوحة ٩) جامع الجندي برشيد: الصحن والقباب الضحلة (لوحة ١٠) زاوية الأمير حماد مقلد بميت غمر: الواجهة والمنذنة



(لوحة ١٢) جامع القناني بفوه



(لوحة ١١) جامع أبو المكارم بفوه



(لوحة ١٣) المدرسة المعينية بدمياط : الواجهة الحجرية والمنذنتان (لوحة ١٤) المدرسة المعينية بدمياط: الصحن وإيوان القبلة
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)



(عن لجنة حفظ الآثار العربية)



(لوحة ١٥) المدرسة المعينية بدمياط: الصحن وإيوان القبلة بعد الترميم الحديث ٢٠٠٩م



(لوحة ١٧) مسجد دومقسييس برشيد:
الخارجة



(لوحة ١٦) المدرسة الرضوانية بدمياط: الواجهة الحجرية والمنذنة



(لوحة ١٩) مسجد إبراهيم ترابته بالإسكندرية :



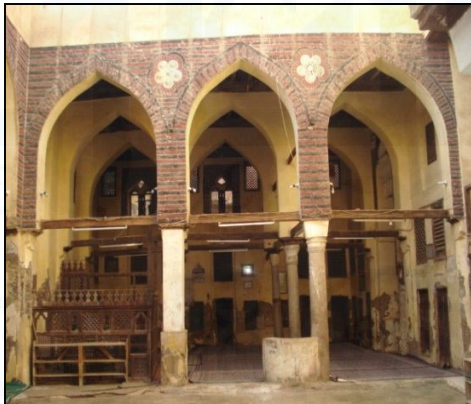
(لوحة ١٨) جامع دومقسييس برشيد: الأروقة الداخلية
الأروقة الداخلية



(لوحة ٢١) مدرسة أحمد البجم بأبيار: رواق القبلة



(لوحة ٢٠) جامع عبد الباقي جورجي بالإسكندرية : الأروقة



(لوحة ٢٣) مدرسة أحمد البجم بأبيار:الرواق الشمالي الغربي



(لوحة ٢٢) مدرسة أحمد البجم بأبيار:الرواق الجنوبي الغربي